وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـامعـــة يحي فارس بالمدية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تجليات الهوية في أدب السجون الفلسطيني رواية" قناع بلون السماء لباسم خندقجي"

مذكرة تخرج لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

من إعـــداد الطالبتين:

- حنان يهوني
- فريال العرابي

إشـــراف الدكتورة:

د. عائشة العشمي

أعضاء لجنة المناقشة

د. زكرياء يوسف الرحماني	رئيسا
د.عائشة العشمي	مشرفا ومقررا
د. بن علي بن زعتر	مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024


بسم الله الرحمن الرحيم



شكر وعرفان

قال تعالى: " **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**ۖ"، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من لم يشكر الناس لم يشكر الله". حديث شريف.

فالحمد والشكر لله عز وجل أولًا قبل كل شيء على تيسيره وتوفيقه لنا في إنجاز هذا العمل.

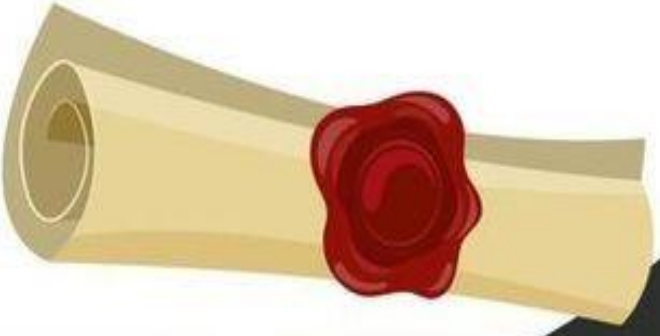
وفي مقام الشكر، نتوجّه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة **عائشة العشمي** التي كانت لنا نورًا وهاديًا في مسيرتنا لإنجاز هذا العمل.

لقد كانت نعم الأستاذة ونعم المعاملة، فلم تبخل علينا بعلمها وتوجيهاتها القيمة، وكانت سندًا وعونًا لنا طوال هذه الرحلة الأكاديمية.

كما نود أن نُعبّر عن تقديرنا العميق لجامعة يحي فارس بولاية المدية كلية الآداب واللغات، ولكافة أساتذة قسم اللغة والأدب العربي.

إليهم جميعًا نهدي هذا العمل المتواضع، تعبيرًا عن شكرنا وتقديرنا.

حنان فريال





إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أمي وأبي

كانا ولا يزالان سندي المتين.

إلى إخوتي وعائلتي وأصدقائي وأساتذتي وكل روح فارقت الحياة، إلى كل من آمن بقدرتي ومنحني الثقة.

إلى من أنارت طريقي بعلمها، الأستاذة المشرفة **عائشة العشمي**.

إلى الملهم الأول والمُوفِّق، الله تعالى جل جلاله.

وإلى أرض العروبة والصمود، فلسطين وأهلها الأبطال.



فريال

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ"

صدق الله العظيم.

ربي إنه لا يتم شيء إلا بفضلك، ولا يُوفَّق عمل إلا بذكرك، الحمد لله العلي العظيم.

إلى من بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى من علّمني حب العلم والعمل، من أفنى عمره من أجلي والدي العزيز، حفظك الله وأطال في عمرك.

إلى روح أمي الطاهرة، نور عيني الذي لا ينطفئ، رحمها الله.

إلى خالتي رمز الحنان، وإلى سندِي من يشاركونني هموم الدنيا ويقاسمونني حلة الحياة: إخوتي وأخواتي.

إلى الأستاذة المشرفة القديرة **عائشة العشمي**، التي أنارت لنا الطريق بعلمها وتوجيهها، وكل أساتذتي الكرام.

إلى صديقاتي رفيقات دربي، وإلى أرض فلسطين.

إلى كل من وسعتهم الذاكرة ولم تسعهم مذكرتي.

حنان

مقدمة

مقدمة:

استأثرت قضية الهوية الفلسطينية باهتمام واسع لدى صفوة الأدباء والكتّاب على مرّ العصور الحديثة والمعاصرة، ويعد أدب السجون جنسا أدبيا فريدا من نوعه، ينبثق من تجربة إنسانية قاسية، تتمثل في الاعتقال والقيد داخل جدران الزنازين ،لا يتجاوز الوجود الإنساني في أعمق أبعاده، مهددا الفرد ومحاولة طمس ذاته.

تتعرض الهوية الفلسطينية لتداعيات عميقة ومعقدة، تتجاوز الاعتداء الجسدي لتصل إلى سلب الوجود والذاكرة، عبر محاولات تغير المعالم الجغرافية والتاريخية، وحتى استهداف اللغة والثقافة الفلسطينية ويصبح السجن أداة لممارسة الضغط النفسي والمعنوي على الأسير، وتفكيك روابطه الوطنية والاجتماعية، وتحويله إلى مجرد رقم، إنها محاولة مستمرة لخلق إنسان جديد مسلوب الإرادة والهوية، حيث برز أدب السجون الفلسطيني كجنس أدبي ولد من رحم التجربة القاسية للاحتلال والسجن، ليصبح صوتا للأسرى ومعاناتهم وصمودهم.

أما أهم القضايا التي يعالجها هذا الأدب هي التأكيد على الهوية الفلسطينية في وجه محاولات الطمس، وتوثيق التاريخ من وجهة نظر الأسير، وإبراز إرادة الحياة والتحدي داخل السجن، وكشف الانتهاكات والجرائم التي يرتكبها السجان بحق الأسرى.

برزت الهوية بشكل خاص في "أدب السجون"، ومن بين هؤلاء يبرز اسم باسم خندقجي الأسير الفلسطيني الذي اتخذ من قلمه سلاحًا ليكتب عن تجارب الفلسطينيين. فلم تثنه قيود الأسر، بل واصل الكتابة من زنزانته ليسمع صوته إلى العالم.

ومن أبرز مؤلفاته رواية "قناع بلون السماء" التي حازت على الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) لعام 2024، والتي أثارت صدى واسعًا لما تميزت به من أسلوب خندقجي الأَسْرِيّ وإبداعه الخلّاق، ونجاحها في ملامسة الواقع السياسي والاجتماعي والتاريخي الذي يعيشه الفلسطينيون، تاركة بذلك أثرًا عميقًا في نفوس القرّاء.

تهدف الدراسة إلى فهم عميق للهوية الفلسطينية المتعددة، وكيفية تشكّلها وتطورها في ظل الظروف القاسية للاحتلال والسجن، كما تهدف إلى تتبع تشكّل الهوية الفلسطينية من خلال تحليل رواية "**قناع بلون السماء** "عبر الشخصيات، إضافة إلى ذلك تسعى إلى توضيح كيفية استجابة الهوية للتحديات المختلفة التي واجهها الشعب الفلسطيني.

ولا يقتصر الطموح على ذلك، بل يكشف أبعاد المقاومة الثقافية، لأن أدب السجون شكلًا من أشكال المقاومة الفلسطينية، وتهدف الدراسة أيضا إلى توثيق المعاناة الفلسطينية، لأن أدب السجون يكشف عن هاجس الهوية والانتهاكات التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني وأخيرا تسعى هذه الدراسة إلى بناء الوعي بالقضية الفلسطينية لدى الأجيال والشباب وتعزيز التضامن مع الشعب الفلسطيني، وإبراز دور أدب السجون في الحفاظ على الهوية.

تكمن أهمية هذه الدراسة من موضوع البحث، كونه موضوعًا غنيًا للبحث العلمي حيث يمكن تناوله من زوايا مختلفة حول القضية الفلسطينية، وملخص الأهمية لتجليات الهوية في أدب السجون الفلسطيني لرواية قناع بلون السماء بإضافة قيمة للمعرفة الإنسانية وفهم أعمق للصراع الفلسطيني والإسرائيلي، وتسليط الضوء على المعاناة الإنسانية التي يعيشها الشعب الفلسطيني.

الدوافع الذاتية:

- معرفة أدب السجون والحالة التي دفعت الكاتب إلى الكتابة رغم تواجده في السجن والتحديات التي يتعرض لها.
- الاهتمام بالقضية الفلسطينية، وكشف الصراع بين الأنا والآخر.
- رواية جديدة وغير مدروسة سابقًا، ومتحصلة على جائزة البوكر عام 2024.

الدوافع الموضوعية:

- تتبع التحديات التي تواجه الهوية وأدب السجون في ظل الاحتلال الإسرائيلي.

- كشف آليات المقاومة، وتسليط الضوء على احتقار الهوية الفلسطينية، وتقديس الهوية الإسرائيلية.
- دراسة رمزية الهوية، وكيف تعكس هذه الرموز على الصراع بين الهويات.
- يعتبر هذا العمل عملاً أدبيًا يستحق الدراسة والتحليل، لأنه يقدم رؤية عميقة لمعاناة الشعب الفلسطيني ويساهم في فهم أبعاد الهوية الفلسطينية.

الدراسات السابقة:

تناولت الرواية العديد من الباحثين والنقاد الذين سعوا في تحليلها وفهم أبعادها وعلى الرغم من حداثة صدورها، إلا أن هناك دراسات أولية على شكل مقالات تناولت تجليات الهوية، التي ترتكز على الهوية في ظل الصراع الداخلي والخارجي، وكذلك القناع والهوية أي تحليل رمز القناع، وكل ذلك لما يعكسه من رمز الهوية المزدوجة والصراع بين الهوية الحقيقية والهوية المفروضة. كما تناولت الدراسات أيضًا التحليل النفسي للسجناء، أي تحليل تجربة السجن وكيفية تأثير هذه التجربة على هوية الشخصيات.

ومن هذا المنطلق كانت إشكالية البحث كالتالي: **كيف تجلت الهوية في رواية قناع بلون السماء؟**

واندرجت تحتها إشكاليات فرعية هي:

- كيف تم تمثيل وتشكيل الهوية الفلسطينية من خلال الشخصيات؟ وما هي العوامل الثقافية والسياسية والتاريخية التي تؤثر في هذا التشكل؟
- ما هي العلاقة بين الأنا الفلسطينية والآخر؟
- كيف يتم ترميز الهوية الفلسطينية من خلال الشخصيات والأمكنة والأحداث التاريخية وعناصر التراث الفلسطيني؟
- كيف يتجلى هاجس الهوية الفلسطينية في خطاب باسم خندقجي ككاتب أسير من خلال هذه الرواية؟

لكشف الإشكالية التالية ارتأينا اتباع **المنهج التحليلي الوصفي** الذي يعتمد على دراسة النصوص أي الرواية واستخلاص أنواع الهوية وعناصرها وأدب السجون وخصائصه **والمنهج البنيوي** للرواية من زمان ومكان وأحداث وشخصيات، **والمنهج المقارن** لدراسة الأنا والآخر، **والمنهج السيميولوجي** للشخصيات الفلسطينية والإسرائيلية وتشكلات الهوية الفلسطينية.

من أجل الوصول إلى أهدافنا في هذا البحث والإجابة عن الاشكالية، تكونت الدراسة من فصلين تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة، أما الفصل الأول المعنون بـ: الهوية في أدب السجون الفلسطيني، تطرقنا فيه إلى مبحثين المبحث الأول اختص بأدب السجون الفلسطيني، والمبحث الثاني يتمثل في مفهوم الهوية، أما الفصل الثاني المعنون بـ أدب السجون الفلسطيني وتمظهرات الهوية في رواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي فتطرقنا فيه أيضا إلى مبحثين المبحث الأول تمثل في دراسة فنية لرواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي، والمبحث الثاني حضور الهوية في الرواية، وأخيرا جاءت الخاتمة راصدة لأهم النتائج المتوصل إليها وتفتح أفاقا لبحوث مستقبلية، كما تدعم الدراسة بـ ملاحق تتضمن ملخص رواية قناع بلون السماء، وسيرة ذاتية للكاتب باسم خندقجي، وأيضا واجهة الرواية، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع التي شكلت الأساس المعرفي لهذه الدارسة.

كأي باحث يقع في مجموعة من الصعوبات بينها حداثة صدور الرواية وانعدام الدراسات الكافية، وقلة المادة العلمية الخاصة بأدب السجون، والحاجة إلى المزيد من الدراسات المتعلقة بأدب السجون الفلسطيني وجميع أبعاده، وتميز الرواية بطابعها المعقد، مما يتطلب من القارء جهدًا كبيرًا لفك شفراتها.

أخيرا نحمد الله على توفيقه لنا كما لايسعنا سوى أن نتوجه بالشكر والعرفان للأستاذة المشرفة وقدوتنا في الدراسة الدكتورة الفاضلة "**عائشة العشمي**" التي كانت لنا عونا في هذا البحث بتعليماتها وتوجيهاتها التي أرشدتنا في دراستنا.

الفصل الأول: الهوية في أدب السجون الفلسطيني

المبحث الأول: أدب السجون الفلسطيني

أولا: مفهوم أدب السجون

ثانيا: خصائص أدب السجون

أ –الصدق.

ب –الرمزية.

ج –النقد الاجتماعي.

د–الوصف.

هـ –الأمل.

ثالثا: أهم مؤلفات أدب السجون

أ- مؤلفات كتبت داخل السجن.

ب- مؤلفات كتبت خارج السجين.

رابعاً: التحديات التي تواجه كتابة أدب السجون.

أولا: مفهوم أدب السجون:

هو ذلك الأدب "الذي يكتبه الأسرى في المعتقلات"،[1] أي يكتب داخل السجن عندما يكون الكاتب يكتب في رواية أو قصة أو شعر وغيرها من الأنواع الأدبية، يكون محتجز في مكان معزول عن العالم الخارجي ضد إرادته ما يسمى السجن.

" أدب السجون لم يكتب في الصالونات المكيفة، أو في الحياة المرفهة والبساتين التي تصدح في سمائها الطيور المغردة، بل كتب في أجواء من الألم والأمل، وفي ظل المعاناة والصبر والتأمل داخل محرقة العدو، بين الجدران، ومن خلف القضبان، وهناك فرقٌ بين من يكتبون في الصالونات ومن يكتبون في المعتقلات، في الحالة الأولى يأتي أدبهم عاديّا، أمّا في الحالة الثانية، فيضيء أدبهم بإشراقات جمالية".[2] هو بالمختصر كل أدب نابع من معاناة الأسرى وصبرهم، هو ينبض بالحياة الروحية والإبداع المستمد من الألم والقمع.

" يشكل أدب السجون لحظة تاريخية حادة يتم فيها اختبار قدرات الانسان على تحويل الألم والفقدان والعزلة إلى لغة، لغة لا تهم الكاتب وحده الذي يحولها إلى وسيلته للتحرر والخروج من دائرة الضيق، من خلال هذا الأدب يتعرف القارئ على حياة أخرى غير تلك التي يعيشها هو حرا طليقا و يستمتع بها الشمس كل صباح ... هذا النوع من الأدب أصبح ظاهرة في فلسطين، فقد برز كثير من الكتاب الأسرى في السجون الإسرائيلية الذين سجلوا «يومياتهم» الصعبة «وسيرهم» وكتبوا عن محنة الحرية التي لم تعد فعلاً سهلاً في عالم ظالم لا يلتفت نحو الفلسطيني."[3]

---

[1] – رأفت حمدونة، أدب السجون (الخصائص والمميزات)، جريدة الجديد اليومي، 2019/08/28، https://www.eljadidelyawmi.dz .

[2] – المرجع نفسه.

[3] – واسيني الأعرج، أدب السجون الحالة الفلسطينية، القدس العربي، 2023/03/21، https://www.alquds.co.uk/ .

أصبح أدب السجون أدب قائم بحد ذاته، يعبر الأسري الفلسطينيون عن تجاربهم القاسية داخل السجون الإسرائيلية ويسجلون يومياتهم ومعاناتهم في سبيل الحرية ويسلط الضوء على القضايا المختلفة، وهناك الكثير من الأعمال التي تنتمي إلى أدب السجون، منها رواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي، رواية نطفة لأدهم الشرقاوي، رواية القوقعة لمصطفى خليفة ... وغيرها من الأعمال الأدبية المتنوعة والكثيرة.

" وملخص القول أن أدب السجون شكل منعطفا هاما في تاريخ الأدبين العربي والغربي كما أنه جسد معاناة الإنسانية، في محاولة إيصال عالم ما وراء القضبان للحصول على الحرية ورفع الاضطهاد."[1] إن أدب السجون تحول تحولا مهما في تطوره من خلال طرح تجارب إنسانية جديدة، هذا الأدب يجسد معاناة السجناء حتى يصل صوتهم خارج السجن من أجل تحقيق الحرية ورفع الظلم.

" هناك كتاب تناولوا السجن من خارجه، كتبوا عن تجربة لم يخوضوها، كتبوا تجربة غيرهم، وربما أجادوا في كتاباتهم، لكن هذا ما يمكن أن نسميه "أدب عن السجن"، أما أدب السجون فهو ما كتبه السجناء أنفسهم، هو السيرة الذاتية لهم، أو تأملات صاحب التجربة بهذا المعبر الرهيب الذي وجد نفسه فيه وعاش بلحمه ودمه ومشاعره."[2]

يختلف مفهوم "أدب السجون" عن "أدب عن السجون" اختلافا جوهريا، فأدب السجون هو الأدب الذي يبدعه المعتقلون داخل أسوار السجن ويعبرون عن تجاربهم وأفكارهم ومشاعرهم، وقد لا يكون موضوعهم مقتصرا على السجن ذاته وحسب وكذلك هو ذلك الأدب الذي يكتب من قبل معتقلين سابقين يوثقون معاناتهم وتجاربهم في شكل سيرة ذاتية أو أدب توثيقي تاريخي أما أدب عن السجون هو ذلك الذي يكتب خارج السجن من قبل

[1] – حنان عبد المالك، تجليات فضاء المكان في أدب السجون رواية سيان ستارغو لمحمد بن زخروفة، ASJP، 2022/11/10، https://asjp.cenist.dz .

[2] – راتب شعبو، أدب السجون، نزهة قسرية خارج الحياة، ضفة ثالثة، 2020/09/12، https://diFFah.alaraby.co.uk .

أدباء لم يعيشوا تجربة السجن ، و يعتمدون على التخيل أو السيرة الغيرية ،و يهدفون من خلال كتاباتهم إلى التضامن مع المعتقلين، وتسليط الضوء على الظلم والقوانين الصارمة التي تفرضها الرقابة وإدارة السجون.

ثانيا: خصائص أدب السجون:

يتناول أدب السجون مجموعة من الخصائص وهي كالتالي: الصدق، الرمزية، النقد الاجتماعي، الوصف والأمل.

أ/ الصدق:

من السمة الأساسية لخصائص أدب السجون هي الصدق والبساطة في التعبير، فالكاتب سواء كان شاعرًا أو ناثرا يجب أن يصف مشاعره بصدق وواقعية داخل السجن، من غير مبالغة وتزييف.

" أول ما يلاحظ في أدب السجون أنا المعاني صادقة واضحة بسيطة ليس فيها تكلف ولا إغراق في الخيال، سواء حين يتحدث الشاعر عن أحاسيسه أوحين يصور ما حوله في السجن، فهو لا يعرف المغالاة، ولا المبالغة التي تخرج به عن الحدود المعتدلة ".[1]

أي يكون ينبع من طبيعة التجربة نفسها، لأن المعاناة والألم لا يحتملان التجميل أو الخيال، وعليه أصبح أدب السجون مرآة تعكس حياة السجين بكل ما فيها من قسوة وأمل.

"فأدب السجن هو وليد التجربة الشعورية المحضة التي انطلقت في لبوسها اللفظي في عفوية غالبًا، أو في وعي فني لا يعرف الحركة النفسية وتدفق المشاعر، ومن مظاهر الصدق الأدبي اليوم، وهو إفضاح بما في النفس المشحونة هموما وآلاما".[2] نلاحظ أن أدب السجون نتاج تجربة ذاتية صادقة ويتميز بالتعبير العفوي عن المشاعر والأحاسيس دون تزييف.

---

[1] – واضح الصمد، السجون وأثرها في الآداب العربية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م، ص248.

[2] – المرجع نفسه.

ب / الرمزية: إن أدب السجون يتميز بالرمزية والبوح والنجوى والتعبير العفوي، يستخدم كتاب أدب السجون هذه الأدوات للتعبير عن معاناتهم العميقة التي يعيشها في السجن.

"يستخدم كتاب السجون الرموز والألغاز للتعبير عن معاناتهم وتحويل تجربتهم إلى عمل فني."[1] إن الرمز في أدب السجون يعتبر بمثابة فجوة للكاتب حتى ينقل من خلالها للمتلقي من حقائق بطريقة فنية على شكل ألغاز ورموز تستشير العقل والعاطفة، لأن السجين يعتبر بحد ذاته رمز أي رمز الحرية، المساواة، الهوية، وكاتب السجن يكتب في أعماله الفنية شفرات يحللها إلا المتلقي المختص ولا يعلم ذلك الرمز إلا في نهاية قراءة العمل الأدبي، هنا القارئ يبدأ بحل الشفرة وذلك حسب تحليله وفهمه العميق.

ج / النقد الاجتماعي:

إن النقد الاجتماعي هو كذلك من خصائص أدب السجون لأن كتاب أدب السجون لايكتبون تجارب شخصية فقط بل يكتبون تجارب اجتماعية من أجل نقد اجتماعي قوي.

"ينقد أدب السجون الأنظمة السياسية والقانونية التي تؤدي إلى وجود السجون، ويطالب بالعدالة والمساواة"[2]، من خلال تناول تصورات لحياة قاسية داخل وخارج السجن مثل ما نجد في فلسطين، وكشف عيوب الأنظمة السياسية والقانونية التي يستعملها المستعمر أو المتسلط على السجين كل كلام يكتبه الكاتب هو نتيجة تأثير يواجهه في حياته المحتجزة ويدعون إلى العدالة والمساواة، وتغيير الأوضاع التي هي ضد حقوق الإنسان، على سبيل المثال: قصيدة محمود درويش "سجل أنا عربي" حيث ينقد الاحتلال الإسرائيلي الذي حول أراضي فلسطين إلى أكبر سجن.

---

[1] – حسام الدين فياض، أدب السجون، الحوار المتمدن، 2025/01/04 ، https://www.ahewar.org .

[2] –المرجع نفسه.

د / الوصف:

يتميز الوصف في أدب السجون بتجسيد الحالة النفسية للسجين، ليصبح بمثابة سلاح للمقاومة ويعكس القلق واليأس إلى مرآة عاكسة للواقع المر الذي يعيشه الأسرى.

"هو مظهر من مظاهر الصدق في شعر السجن، ومرجع ذلك في رأينا، أن السجين لم يكن يفرض إرادته الفنية على الأحاسيس والأشياء بل كان يحاول نقلها إلى لوحاته نقلا أمينا يتحرى نقل الحقيقة من خلال الشعور والمعاناة نقلا واقعيًا في تصوير معبر، فجاء الوصف مباشرة صريحة في مشاهدة ألفاظه، وأضيف إليه قوة الشعور والإحساس بالواقع كل ذلك جعل من معطيات الحبس العارية صورا معبرة قادرة على الإيحاء بأجواء السجن الموحشة وبعالم السجناء الغريب".[1]

إن أدب السجون يعتبر مظهر الصدق فيه نوع من الأدب لأن الكاتب السجين لا يتخيل الواقع بل ينقل لنا تجربته ومعاناته بدقة وأمانة، على شكل عمل فني، حيث يستخدم ألفاظ مباشرة وصريحة أي كلها تحتوي على صدق ووصف الحياة التي فيها نوع من الأجواء الموحشة وإيصال ذلك للقارئ الغريب عن السجن.

هـ / الأمل:

إن القسوة التي يعيشها السجناء بمثابة الأمل الذي يضل حاضرا في أعمالهم، وهذا الأمل ليس شعور عابر بل هو دافع يساعد السجناء إلى التغلب والصمود والحفاظ على كرامتهم وإنسانيتهم، ومؤمنون هناك بمستقبل أفضل ينتظرهم خارج السجن.

"رغم الظروف القاسية إلا أن العديد من روايات السجون تحمل في طياتها رسالة أمل وتؤكد على قوة الروح البشرية وقدرتها للتغلب على الصعاب"[2]، بالرغم من الأوضاع الصعبة التي يمر بها الأسرى في السجون من الحرمان وفقدان الحرية والقمع، لكن الكثير من الأعمال تحمل رسالة أمل في داخلها، وتبين لنا أن روح الإنسان قوية وتستطيع تحدي

[1] – واضح الصمد، السجون وأثرها في الآداب العربية، ص 250.

[2] – محمد حسام الدين فياض، أدب السجون.

الصعاب والتغلب عليها مهما كانت كبيرة، لو كانت في الظلام إلا أن هناك أمل لوجود ضوء للتغلب على الصعاب.

ثالثا: أهم مؤلفات أدب السجون:

يتجلى أدب السجون بين حقلين أساسين من الأعمال الأدبية، أولهما مؤلفات أبدعها كتاب من داخل أسوار المعتقلات والسجون، وتتناول موضوعات متنوعة لا تقتصر بالضرورة على تجربة الأسرى وحدها بل تمتد لتشمل أفاق فكرية وإنسانية، وثانيهما أعمال أدبية كتابها مبدعون من خارج أسوار السجن، لكنها تستلهم في مضمونها عالم السجون وتجربة الاعتقال بكل ما تحمل من أبعاد إنسانية وسياسية واجتماعية.

أ- مؤلفات كتبت داخل السجن:

إن الأعمال التي كتبت داخل السجن بمثابة نبض للحياة القاسية في السجن، ليست كلمات فقط بل هي صرخات وشهادات حية.

"إذا كان السجن قد أنشئ من أجل عقاب وتأديب واصلاح المجرمين، فإنه في بعض الأحيان كان المكان الذي نسج وراء قضبانه إبداعات فكرية نادرة، لم يؤثر ضيق مساحته ولا العزلة المضروبة على فئة نادرة من قاطنيه بشكل سلبي، بل يبدو وكأنه شهد بصيرتهم وأعاد قدرتهم على ترتيب وأوراقهم، عدد غير قليل من الكتب الذائعة الصيت والملهمة كتبت داخل زنازين السجن."[1]

إن المؤسسة السجنية التي أنشأت في الأساس لمعاقبة المجرمين وتأديبهم واصلاحهم، قد غدت في بعض الأحيان للإبداعات الفكرية النادرة، لم يؤثر ضيق الحيز والعزلة المفروضة سلبيا بل أصبح أداة من أجل استنارة بصائرهم نحو الكتابة وتأليف مؤلفات أدبية ذات شهرة واسعة.

[1] – محمد حنطي، 5 كتب ملهمة صدرت من السجون، القبس 01/04 /2020 hTTPS://www.algabas.com،.

– من بين الأعمال التي كتبت داخل السجن منها:

– رواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي:

" باسم خندقجي أسير فلسطيني كتب روايته في قلب الزنازين المظلمة بين الجدران والروح، إن عمل باسم خندقجي ليس مجرد عمل وسرد أحداث بل هو عبارة عن حقائق وشهادة تنبض لكل فلسطيني وأسير حيث تتحدى القسوة والحواجز، وتحلق في السماء هذه الرواية الفائزة بجائزة البوكر سنة 2024 ، عندما نقرأ الرواية نجدها تصف الواقع المر الذي يعيشه أغلب الفلسطينيين، تتناول قضية الهوية والاحتلال والصراع الفلسطيني والاسرائيلي بتفاصيل دقيقة، وتجربة الأسرى والمعاناة التي يعاني منها السجناء، الرواية مرآة عاكسة للواقع فقد فاز خندقجي في الإبداع الروائي لأن كل عمله يدعو إلى تفكير المتلقي ويتصور المشاهد التي يذكرها في عمله على شكل صور واقعية كأننا نراها أمامنا ويسلط الضوء على مختلف القضايا المخفية التي لا يراها أحد في سرده، أشياء مثل تصور و تسجيل بطاقات صوتية على الهاتف و حتى رسائل وحوارات متعددة بين الذات ورواية داخل رواية وحوارات متعددة، كل هذا تجده عند باسم في روايته "قناع بلون السماء" فهو عمل مبدع يستحق القراءة والتفسير والتدقيق في الأحداث، لأنه عمل أسير فلسطيني الذي يكتب رغم الظروف القاسية هناك إلا أنه استطاع أن يتجاوز الصعاب والحواجز."[1]

– كتاب أمير الظل مهندس على الطريق" الأسير عبد الله غالب البرغوثي":

" رواية أمير الظل هي عبارة عن سيرة حياة الأسير الفلسطيني عبد الله البرغوثي داخل السجن متناول الأحداث التي دفعته إلى الانخراط في النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي يحكي على صغره ودراسته وعمله في كوريا وحتى زواجه وكذلك بعد رجوعه لفلسطين،ويصف لنا بعض الأحداث مثل تدنيس شارون للمسجد الأقصى مما تتسبب

[1] – ينظر، باسم خندقجي، رواية قناع بلون السماء، ط1، دار الآداب للنشر والتوزيع، فلسطين، 2023م.

لانضمامه للمقاومة وحتى استخدام مهارته الهندسية في تطوير أساليب المقاومة كما يحكى على قصة اعتقاله والمعاناة التي تعرض لها أثناء التحقيق ومن الأساليب الوحشية التي استعملت عليه، من أجل استخراج المعلومات منه ويتكلم عن الحكم الذي صدر ضده، ويشرح حياته داخل السجن، بالمختصر رواية توجه رسالة بالرد على ابنه كاتب الرواية ومقاومته للمحتل، كتاب أمير الظل ليس مجرد سيرة ذاتية عادية بل هو عمل أدبي يجمع بين عدة أساليب ويحمل رسالة قوية، منها السيرة الذاتية بأسلوب الرسالة وتوثيق تاريخي والرسالة الإنسانية والصمود والتحدي وكذلك الهام للأجيال القادمة ويساهم في إحياء الذكرى الفلسطينية."[1]

ب –مؤلفات كتبت خارج السجن:

إن الأدب فن عظيم تتمكن من خلاله النظر إلى أشياء بعيدة علينا، لهذا يوجد كتّاب يكتبون خارج السجن، بوصف ما يحدث داخل المعتقلات ومعاناة كل السجناء من الظلم والتعذيب الذي يتعرض له كل سجين، ويصور لنا حياتهم وينقل لنا احساسهم كأننا نعيش معهم، هذا الأدب يفضح الظلم ويدافع عن حقوق الإنسان ويتركنا نفهم قيمة الحرية.

– رواية القوقعة لمصطفى خليفة:

" إن رواية القوقعة هي رواية كتبت خارج السجن وتتحدث شاب تعرض للسجن عند وصوله إلى المطار من فرنسا الى سوريا حيث عاش في السجن 13 سنة وتعرض للتعذيب الجسدي وحتى النفسي، وهذه الرواية شهدت انتشارا كبيرا لأنها تتناول السجن المتدمر أكثر وحشية وهي بمثابة الأعمال المرتبطة بالثورة السورية، وتحكي عن التحول الذي تعرض له الرجل من خلال الجحيم الذي كان يعيش فيه وتجرته القاسية، ويصف تفاصيل مروعة عن الحياة في السجن والإذلال الذي يتعرض له، هي من التجارب

[1] – ينظر، عيد الله غالب البرغوثي، أمير الظل، ط1، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، فلسطين، 2012–2013م.

القاسية التي تفوق تصورات الإنسان، ويروي البطل قصته وقصة صديقه في المعاناة الذي نال حريته بعد سنوات فانتحر، وبعد أن خرج من السجن عاش حياته كالميت."[1]

- رواية نطفة لأدهم الشرقاوي:

" تدور أحداث الرواية في غزة بطلها حمزة شاب جميل وأسماء الفتاة الجميلة في بداية العشرين من عمرها، التي يلتقي بها حمزة صدفة فتعجبه وتنشأ بينهم علاقة حب قوية تكلل بالزواج ، بعد شهر يتم اعتقال حمزة ويزج به في السجن ويحكم عليه البقاء هناك لسنوات، يقرر هو وأسماء أن يُهرّبا نطفة لكي ينجبا رغم عن أنف إسرائيل وزنازينها والرواية هي عبارة عن رسالة طويلة تخاطب شخص معين، وهذا الأسلوب الذي يعتمد عليه الشرقاوي في كتاباته وتعتبر نقطة أساسية في الأدب ومن أسباب شهرته حبكة الرواية هي أنها خيالية بعض الشيء، كما أن أفكار بطلي الرواية حمزة وأسماء مثالية جدا وهذا فوق حدود الواقعية، كما أن حمل أسماء رغم سجن حمزة جعل الدكتور سامي يغيظ مأمور السجن بما حدث ، وبهذه الطريقة فإن ما قاله كان من المفترض أن يسبب مشاكل لباقي السجناء ويتم تغيير شروط الزيارة، لكن الكاتب تجاهل ذلك حين قال السجناء الفلسطينيين عزموا على أن يفعلوا ما قام به حمزة وزوجته."[2]

وفي نهاية المطاف إن موضوع مؤلفات أدب السجون هو عبارة عن سجل لتجارب حية قاسية، تكشف الواقع المر لحقوق الإنسان، التي هي عبارة عن رسالات شخصية من أجل تغير الواقع والمساواة والعدالة، لأن الكاتب يكتب لغاية وهو في السجن من أجل نقل تجاربه ومشاعره على شكل عمل فني يستخدم فيه لغة خاصة من أجل خلق صورة

---

[1] – ينظر، مصطفى خليفة، القوقعة، ط1، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008م.

[2] – سارة كفافي، قراءة في كتاب نطفة، موضوع، 20/ 08/2023،
hTTP:// mawdoo3.com (بتصرف).

واضحة ومؤثرة للقارئ ويصف فيه قوة وأمل والإحساس بالواقع الموحش والمؤثر، من أجل الحرية والكرامة.

رابعا: التحديات التي تواجه كتابة أدب السجون

أدب السجون ليس مجرد سرد لواقع خلف الجدران بل هو صوت المظلومين الذين يطالبون بحياة كريمة وعادلة حيث يواجه أدب السجون عدة تحديات تمنع تطوره وانتشاره خارج السجن.

"بالنسبة للأعمال التي كتبها الأسرى في السجون والزنازين، فإن لكل عمل قصته التي يجب أن تسجل وتوثّق، ذلك أن الكتابة في السجن فعل محظور ومحرم، باستثناء كتابة الرسائل العائلية التي تخضع إلى شروط قاسية وتضييق خانق ومراقبة شديدة ...

وهي تبدأ من تهريب أدوات الكتابة إلى داخل السجن ثم إعادة تهريب القصاصات المكتوبة إلى خارج السجن أشكال يصعب على العقل أن يتخيلها، مثل تهريبها في كبسولة يبتلعها الشخص الذي يقوم بالتهريب، وتترك للقارئ أن يتخيل كم كبسولة، وكم عملية تهريب تلزم للعمل الأدبي الواحد؟ إضافة إلى حجم الأخطار التي تهدد الكاتب والمهرب وغيرها من التفاصيل التي تصل إلى إعادة تجميع القصاصات وتهريبها إلى خارج السجن."[1]

نجد من خلال هذا المقال أن تدوين انتاجات المحبوسين يستلزم تسجيل سير كل عمل لأن الكتابة هناك ممنوعة إلا للمراسلات الأسرية الخاضعة للرقابة الشديدة، العملية تبدأ بتهريب أدوات التدوين إلى نقل النصوص المكتوبة مع الأخذ في الاعتبار للمخاطر التي تهدد المؤلف والناقل بالإضافة إلى تفاصيل أخرى التي تتعلق بجمع النصوص المنقولة ونقلها خارج السجن.

[1] – محمد ياسين رحمة، مظاهرة الكتابة وتهريبها في كبسولة، الأيام، hTTPS://elayem.news.dz , 2024/05/02.

"احتُجز الأسرى في ظروف اعتقالية غاية في السوء، مُنع عنهم معظم مقومات الحياة وكذلك مُنعت عنهم الأقلام والأوراق والكتب، وكان السجّان يطارد بيت القصيد، سواء كُتب على ورق السجائر أو نُقش على جدران الزنزانة، بين مطاردة السجّان وصمود الأسرى انتصرت الإرادة، بعد إضرابات عديدة عن الطعام، وعشرات الشهداء الذين رسموا بدمائهم الزكية ملحمة أسطورية صامتة، أصحابها أناس حقيقيون. انتصر جوعهم ودمهم على حدّ سيف الظلم والطغيان.[1]"

إن الكاتب الأسير يُحتجز في ظروف قاسية للغاية، ويُمنع من أدوات الكتابة وحتى من الكتب، وذلك خوفًا من خروج كتاباتهم إلى الخارج وإثارة ضجة كبيرة، لأن الكتابة بالنسبة للفلسطيني بحدّ ذاتها تعد سلاحًا في وجه الاحتلال الإسرائيلي. وفي ظل هذه القوانين الشديدة ضد الأسرى، يلجأ كلّ منهم إلى الكتابة بطريقته الخاصة، على ورق السجائر، أو النقش على الجدران، وكل هذا يُعدّ تحديًا للقيود التي يفرضها الاحتلال، ويواجه الكاتب صعوبات جمّة في عملية الكتابة والنشر داخل السجن، ومن أبرز هذه الصعوبات الرقابة الصارمة التي يتعرض لها، حتى على أغراضه الخاصة، مثل الرسائل، التي تُفتح وتُقرأ وإذا وُجد فيها ما يُمنع، تُصادَر ولهذا فإن الكاتب يواجه رقابة مشددة، وإذا كُشف أمره يتعرض لعقاب شديد.

"لا يمكن النظر إلى أدب السجون باعتباره مجرد مجموعة من الكلمات المكتوبة خلف أسوار السجن الشاهقة، وممارسات التعذيب والتنكيل والإبادة الممنهجة، بل هو مرآة تعكس معاناة الشعوب وصراعها من أجل الحرية والعيش بكرامة، باختصار شديد إنه صوت المقهورين والمنكوبين، وهو وثيقة تاريخية تسجّل جرائم الأنظمة الديكتاتورية، لتعكس قوة

[1] – ضرار محمد الحروب، أدب السجون حرية قلم، الجزيرة،2017/03/30، https://www.aljazeera.net.

الإرادة الإنسانية الطامحة لتحقيق الحرية والعدالة، والقضاء على الإقصاء وانغلاق المجال السياسي"[1].

في السجن، يكون المعتقل تحت المراقبة الدائمة، وإذا جرت عملية الكتابة بخفاء، فإن إخراج هذه الأعمال الأدبية إلى الخارج يُعد تحديًا كبيرًا. من الصعب نشرها، لأن الناشرين غالبًا ما يترددون في التعامل مع أدب السجون، خاصةً إذا احتوى على مضامين سياسية تكشف حقائق مخفية أو تنتهك "المحظورات" المفروضة، وتسلط الضوء على انتهاكات حقوق الإنسان. كل ذلك نابع من خوف دور النشر من التعرض للمشاكل أو المضايقات من قبل السلطات.

[1] – حسام الدين فياض، أدب السجون.

المبحث الثاني: مفهوم الهوية

أولًا: تعريف الهوية

أ. لغةً.

ب. اصطلاحًا.

ج. من المنظور الفلسطيني.

ثانيًا: أنواع الهوية

أ. الهوية الفردية.

ب. الهوية الاجتماعية.

ج. الهوية الوطنية.

ثالثًا: عناصر الهوية

أ. الدين.

ب. اللغة.

ج. الثقافة.

د. التاريخ.

هـ. الوطن.

رابعًا: التحديات التي تواجه الهوية الفلسطينية

أولًا: تعريف الهوية

تُعتبر الهوية من الموضوعات التي اهتم بها المفكرون السياسيون، والدارسون، والباحثون باعتبارها عنصرًا أساسيًا في بناء المجتمعات. وهذا ما يبرر اختلاف التعاريف والآراء حول العديد من محددات هذا المفهوم.

أ-الهوية لغةً:

وردت لفظة "الهوية" في القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي كما يلي:
" الهوِية كغنيَّةٍ: البعيدة القعر وسمع لأذنيه هويا: ذويًّا، وقد **هَوَتْ أُذُنُهُ**.
والهُوَّةُ كقُوَّةٍ: ما انهبط من الأرض، أو الوهدة الغامضة منها، كالهَوَّاءَة كرُمّانة، و"الهَوّ" بالفتح: الجانب، و"الكوَّة".[1]

يشبّه الكاتب الهوية بالأغاني، فليست مجرد كلمات وألحان، بل قصيدة عن المشاعر والانتماء. وكذلك ليست مجرد مفهوم، بل إحساس وانتماء داخلي، وليست سطحية، بل لها جذور عميقة داخل الإنسان والمجتمع.
ويشعر الإنسان في غياب الهوية بفراغ داخلي وضياع أو حيرة، إذا لم يكن متأكدًا من هويته، تمامًا كالصوت الذي يتردد، وقد وُصفت الهوية هنا بطريقة غير مباشرة، باستخدام التشبيهات المتعددة، حيث قورنت بأشياء مثل: الهوة (الفراغ)، الهواء، الرمانة، الكُوَّة (النافذة الصغيرة)، في تعبير عن طبيعة الهوية المعقدة والعميقة، التي ليست شيئًا واضحًا تمامًا.
لقوله عز وجل: " والمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى"،[2] والمقصود بها قرية قوم لوط عندما أهوى الله بها.

---

[1] – مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (ت ح) أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 1717 –1718.
[2] – سورة النجم، الآية 53.

كما وردت لفظة الهوية في المعجم الوجيز " الذات بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى أيضا: البطاقة الشخصية."[1]

الهوية تعرف الإنسان كما تعرفه البطاقة الرسمية، وتقوم على تسجيل المعلومات الأساسية وقد جاء في معجم التعريفات للجرجاني " الهوية الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال على الشجرة في الغيب المطلق، والهوية السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذ الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء. "[2]

الجرجاني يؤكد على أن الهوية ليست بالمعنى البسيط للبطاقة الشخصية ولا الانتماء الظاهر بل يتحدث عن أصل الأشياء وحقيقتها العميقة.

ويعرّفها **جميل صليبا** في معجمه الفلسفي كما يلي:

" الهوية في **الفرنسية** Identité

في **الإنجليزية** Identity

في **اللاتينية** Identitas

اسم الهوية ليس عربيا في أصله، وانما اضطر اليه بعض المترجمين، فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط، أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره وهو حرف هو في قولهم: "زيد هو حيوان او انسان"، واسم الهوية مرادف لاسم الوحدة والوجود، قال الفرابي: "هوية الشيء، وعينيته وشخصه وخصوصيته، ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك".[3]

---

[1] – مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، الجزائر، 1998، ص654.

[2] – علي بن محمد شريف الجرجاني، كتاب التعريفات، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1985، ص278.

[3] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ص 529 – 530.

الكاتب يبين أن كلمة الهوية جاءت من كلمة " هو " التي تربط الشيء بذاته وعليه الهوية هي الذات الحقيقة وعند قوله هو حيوان أو انسان أي وجوده المنفرد المميز، يأتي الفرابي الذي يقول على أن الهوية هي عين الشيء أي عندما تقول أنه هو كأننا نشير إلى هويته وخصوصيته ووجوده المميز المتفرد.

وقد وردت الهوية عند حسن حنفي: "يتداخل مفهوم الهوية مع مفهوم الماهية: فالهوية لغوياً أن يكون الشيء هو "هو" وليس غيره، وهو قائم على التطابق أو الاستباق في المنطق والماهية أن يكون الشيء "ما هو" بزيادة حرف الصلة "ما" على الضمير المنفصل هو والمعنى واحد.

قد يرى البعض أن **الماهية** أعمق من **الهوية**، وفي اللغات الأجنبية يُستخدم لكلٍّ من اللفظين تعبير مستقل، حيث تُترجم **الماهية** بـ Essence، وهي مشتقة من الفعل اللاتيني Esse بمعنى "يكون" أو "الوجود"، في حين تُترجم **الهوية** بـ Identité، وهي مرتبطة بالضمير Id، أي: هو[1]."

حيث يقول، أن مفهوم الهوية قريب جدًا من مفهوم الماهية لغويًا، فكلمة **الماهية** مشتقة من "ما هو"، أي "ما هو الشيء"، بينما **الهوية** تدل على "هو" أيضًا، مما يجعل هناك اشتراكًا في الجذر بين المصطلحين.

-الهوية اصطلاحا:

إن للهوية تعريفات متعددة ومتنوعة، يختلف عن تعريفها حسب العلم الذي يبحث عنه فبذلك إنه من الصعب تحديده بدقة، يقول حسن حنفي: "الهوية خاصة بالإنسان والمجتمع، الفرد والجماعة، هي موضوع إنساني خالص (...) وهو الذي تنقلب فيه الهوية إلى اغتراب. الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون على غير ما هو عليه، فالهوية تعبير

[1]– حسن حنفي، الهوية، دار هنداوي، مصر، 2023، ص 08.

عن الحرية، الحرية الذاتية، الهوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد، إن وجدت فالوجود الذاتي وإن غابت فالاغتراب، الهوية خاصية للنفس لا للبدن، هي حالة نفسية وليست حالة بدنية."[1]

إن الهوية هي خاصة بالإنسان والفرد والمجتمع لأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يحس بالفرق بين ما هو في الواقع والمثال وكل فرق يحسسه بالاغتراب إذا وجدت الهوية وإذ غابت.

"ويعد مفهوم الهوية من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم في مجالات علمية متعددة ولا سيما في مجال العلوم الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي، وتعد بالتالي من أكثر المفاهيم تغلغلا في عمق حياتنا الثقافية والاجتماعية اليومية، ومن أكثرها شيوعا واستخداما، وعلى الرغم من البساطة الظاهرية التي يتبدى فيها مفهوم الهوية فإنه وعلى خلاف ذلك يتضمن درجة عالية من الصعوبة والتعقيد والمشاكلة وذلك لأنه بالغ التنوع في دلالاته واصطلاحاته، فالهوية ليست كياناً يعطى دفعة واحدة وإلى الأبد، إنها حقيقة تولد وتنمو وتتكون وتتغاير وتشيخ وتعاني من الأزمات الوجودية والإستلاب."[2]

الهوية مفهومها هنا مركزي وحاضر بقوة في العلوم الإنسانية وحياتنا اليومية، وعلى الرغم من بساطتها من الناحية الظاهرية إلا أنها معقدة وصعبة في تنوعها ومعناها الاصطلاحي المختلف وتتطور عير التغيرات والأزمة.

"فالنفسانيون غالبا ما فهموا الهوية "مفهوم الذات" والاجتماعيون "نمط الأدوار" لشخصية ما، والعلماء الجنائيون بحثوا عن تحديد "هوية" الجاني، ودرس الأطباء النفسيون " فقدان الهوية" في الأمراض الفصامية، ووصف الأنثروبولوجيون الهويات العرقية (Racial Identities)او "الهويات الإثنية" (Ethnical Identities) ، وبحث المحللون النفسيون الأجزاء

[1] – حسن حنيفي، الهوية، ص 08.

[2] – أليكس ميكشيللي، الهوية، (ت ر): علي وطفة، ط1، دار النشر الفرنسية، دمشق،1993، ص7.

اللاشعورية "للهوية السلبية"، لاهوتيون، ورأى اللاهويتون أساس الشخصية الأصلي في "الهوية الربانية"، وفي هذه الأثناء أصبح المفهوم الذي كان يفترض له الأصل أن يتضمن أقصى درجة من التجريد"[1] علماء النفس هنا يجد كل منهم الهوية كمفهوم للذات وعلماء الاجتماع وجدوا أن الهوية مجموعة من الأدوار يلعبها الشخص وعلماء الجريمة يفكرون كيف يعرفوا هوية المجرم والأطباء النفسانيون درسوا فقدان الهوية في الأمراض العقلية وعلماء الأنثروبولوجيا وصفوا الهويات العرقية والإثنية وفي وسط هذا الكلام عن مفهوم الهوية نجد أنها مجرد تجريد.

"إن هوية الشيء هي "ثوابته"، التي تتجدد و لا "تتغير" .. تتجلي وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قد الحياة.. إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها من غيره، وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب، دون أن تخلى مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات"[2] نجد أن الهوية في بصمة الإنسان تميزه عن غيره حتى وإذ كان هناك شخص يشبهه فيختلف في البصمة.

" كما يمكن للمرء أن ينظر للهوية على أنها مجموع سماته المميزة والدائمة التي تميزه بوصفه مخلوقا لا تخطئه العين والهوية هي أيضا ما أصف فيه نفسي عندما أتأمل ذاتي بصورة مكثفة وأشكل صورة ذاتي.[3] " وهنا يوحى مفهوم الهوية إلى الصفات الجسدية

---

[1] – بيتركوزن، البحث عن الهوية (الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله) (ت. ر) سامر جميل رضوان، ط1، دار الكتاب الجامعي، العين –الامارات العربية المتحدة، 2010، ص 92–93.

[2]– محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة –القاهرة، فيفري 1999، ص6.

[3]– مازية حاج علي، الهوية وسرد الأخر في روايات غسان كنفاني، رسالة دكتوراه، اشراف جمال مباركي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، 2016 – 2017، ص12.

الظاهرة في جسم الإنسان التي تستطيع أن تميزه عن أشقائه، فالهوية تجعلنا نعلم ما هيته وأصل الشخص يكون هو نفسه، لأن الهوية هي مجموعة صفات مميزة التي تميز المخلوق وهي كذلك الأشياء التي نصف بها الإنسان مثل التأمل الذاتي وتشكيل الصورة خاصة.

ج / الهوية من المنظور الفلسطيني:

الهوية هي عنصر أساسي في المجتمعات وكذلك لها طابع أخر عند الفلسطينيين يشتركون في اللغة العربية والثقافة المتنوعة مثل أي بلد، حيث يتميزون بتاريخ مشترك ضد النضال وأغلب المجتمع الفلسطيني يعيش وضع الشتات لهذا نجد إشكالية الهوية عندهم هي غير الهويات عند الدول الأخرى أو بصفة عامة هي مسألة معقدة، كيف لإنسان يملك أرض يعيش وضع الاغتراب ويبتعد عن وطنه.

"إن الهوية تشكلت في خضم صراع مرير خاضه هذا الشعب لإثبات وجوده في هذه المعركة القاسية وغير المتكافئة، مما جعل من المقاومة في تطور شكل الهوية الوطنية الفلسطينية، إطار ناظما لها ويمكن القول إن استمرار الصراع دون تمكن الشعب الفلسطيني من تحقيق حقوقه الوطنية، لا يزال يجعل من المقاومة شرطًا لازما لوطنية الهوية، وذلك على نحو يختلف من المعنى المعروف للهوية الوطنية القومية لدى الشعوب والأمم الأخرى."[1]

إن الهوية الفلسطينية لقد مرت بظروف تاريخية وسياسية في ظل الاحتلال واستمرار الصراع على الشعب الفلسطيني إلى يومنا هذا، وعليه الهوية الفلسطينية تختلف عن الهوية لدى شعوب الأمم الأخرى، لهذا المقاومة والنضال جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية كل هذا بسبب الظروف الاستثنائية التي يمر بها الشعب الفلسطيني.

[1] – عبد الفاتح القلقيلي وأحمد أبو غوش، الهوية الوطنية الفلسطينية: خصوصية التشكل والإطار الناظم، مركز البديل فلسطين، نيسان 2012، ص 20.

"سعى الشعب الفلسطيني، كباقي الشعوب والأمم، لبلورة هوية جماعية له، يعرّف بها ذاته ويميزها عن الآخرين، كجزء أساسي في عملية بناء نفسه وحماية ذاته، ويعمل على تمسك أفراده بها بهدف مواجهة محاولات طمس هويته، والعمل على تحقيق الوحدة والتكامل بين الجماعات السياسية المختلقة والقوى الاجتماعية داخله، في مواجهة الاحتلال وسياسته وتعرضت عملية بلورة الهوية الفلسطينية، وتطورها في دول الشتات واللجوء وتحت الاحتلال، لمحاولات مختلفة تراوح بين النفي والطمس والإبدال والتهميش أو التعزيز والمناصرة."[1]

الفلسطينيون يحرصون على التمسك بهويتهم لمواجهة محاولات الطمس التي يتعرضون لها، في إطار تشكيل هوية جماعية تتميز عن باقي الشعوب رغم أنهم يتعرضون إلى ضغوط كبيرة ومحاولات طمس من طرف الاحتلال مع كل هذا هم يتمسكون بهويتهم ويسعون إلى تعزيزها والحفاظ عليها ودعم هويتهم وتقويتها.

"إن كانت تعريف الهوية عادة كما أسلفنا بعناصر متعددة مثل اللغة والثقافة والدين والوعي الجماعي ومعايير الحياة الاجتماعية المتوارثة، إلا أن تعريف الهوية الفلسطينية لا يقتصر على هذه العناصر، حيث إن العنصر الحاسم فيها الذي يعيد تعريف هذه العناصر كافة في بوتقة خاصة، هو التجربة الجديدة لاستعادة هويته المسروقة ، فتشتت الفلسطينيين خارج أرضهم ، وتشرذمهم داخل وطنهم بفعل الاحتلال يجعل سؤال الهوية وتجلياتها المعقدة والمرتبطة بتجارب التهجير والمنفى والهجرة والنضال من أجل العودة أو الصمود على الأرض تحت هيمنة الاحتلال والاضطهاد".[2]

---

[1] – أشرف صقر، الهوية الفلسطينية بين التطور والتأزم، العربية، 6/10/2023، https://caus.org.lb.

[2] – أحمد جميل عزم وآخرون، قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني، ج 1، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، 2015، ص 06.

إن الهوية الفلسطينية تتميز بنوع من التعقيد وكل ذلك بسبب الاحتلال الإسرائيلي، لا تقتصر على اللغة والثقافة والتراث المشترك، بل يتجاوز الصعود على الأرض والتهجير الشعب الفلسطيني يمر بالتجربة الفريدة جعلت الهوية الفلسطينية تختلف عن الهويات الوطنية الأخرى ويناضل من أجل البقاء والحرية والهوية الفلسطينية.

ثانيا: أنواع الهوية

من المستحيل أن نجد أمة بدون هوية، يستمدها الفرد من إحساسه القومي وانتمائه إلى مجتمع أو أمة لها خصائص تاريخية، اجتماعية، نفسية، وعليه الهوية تختص بجملة من الأنواع أهمها: الهوية الوطنية، الهوية الاجتماعية، الهوية الفردية.

أ- الهوية الفردية:

الهوية الفردية هي مجموعة من المميزات والصفات التي تميز الفرد عن الأخرين، "يوجد على ما يسمى اصطلاحا "بطاقة الهوية" الشهرة والاسم والمكان وتاريخ الولادة وصورة وتعداد لبعض الصفات الجسدية والتوقيع وأحياناً بصمة الشخص وهي مجموعة كاملة من البيانات للدلالة دون ليس ممكن على حامل هذه الوثيقة هو فلان، وأنه لا يوجد بين مليارات الناس الآخرين شخص واحد يؤخذ خطأ على أنه هو حتى لو كان بديله أو أخاه التوأم، هويتي هي ما يجعلني غير متماثل مع أي شخص آخر".[1]

أمين معلوف هنا يبين هوية الفردية (الشخصية) هي سمات خاصة تميز الفرد الواحد من الجماعة حتى لو كان توأم حقيقي، أي كل إنسان يتميز بصفات خاصة به. "هكذا يمكن للمرء أن ينظر للهوية على أنها مجموع سماته الميزة والدائمة، التي تميزه بوصفه مخلوقا لا تخطئه العين، الهوية هي ما يمكن للإنسان أن يصف به الآخرين، من نحو دراسات الاتجاهات والاختبارات النفسية أو في الشخصيات الطبية والنفسية على سبيل المثال، إلا

[1] – أمين معلوف، الهويات القاتلة "قراءات في الانتماء والعولمة"، (ت ر) نبيل محسن، ط1، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا –دمشق، 1999، ص 13 – 14.

أن الهوية أيضًا ما أصف فيه نفسي، عندما أتأمل بصورة مكثفة وأشكال صورة ذاتي ... الشعور بأنني شخصية متصلة، محددة، أمتلك جسدي و قواي الذهنية، فاعل وقادر على اتخاذ القرار... تعني الهوية صورة الذات، التصور الذي يعمله الإنسان حول خصائصه ونقاط قوته وضعفه ومنشأه وعلاقته الاجتماعية وقيمه وأهدافه الحياتية، إن الشعور بالهوية شيء معزز ومحفز، عندما نقارن أنفسنا بالأخرين، وحتى نتذكر الماضي وننغمس بأحلامنا يعني هويتنا أمامنا مثل الصورة ، يعني أمر صعب الفهم".[1]

الهوية الشخصية هي القيم والمعتقدات التي يؤمن بها الشخص واتخاذه القرارات والمهارات التي يتمتع بها عن غيره وتجعله متميز عن الباقي وحتى أهدافه الشخصية التي يسعى لتحقيقها، كل هوية فردية هي صفات فردية التي تميز الفرد مثل تصرفه تفكره شعوره.

"الهوية الذاتية أو (الهوية الشخصية) تضع الحدود المميزة لنا بوصفنا أفراداً، وتشير الهوية الذاتية إلى عملية التنمية الذاتية التي نرسم من خلالها ملامح التميز لأنفسنا ولعلاقتنا مع العالم حولنا وتشهد كثيرًا من العناصر من أعمال المدرسة التفاعلية الرمزية، كما يساهم التفاعل بين الذات والمجتمع في ربط العالمين الشخصي والفردي يبعضهما البعض، إذ تتبعنا تغيرات الهوية الذاتية في المجتمعات التقليدية والحديثة لرأينا ابتعادا عن العوامل الثابتة الموروثة وتوجهنا لتكوين الهوية".[2]

" كما تعني الهوية الشخصية أو التحقق منها في تحقيق الشخصية (pièce d'identité) أي: مطابقة الشيء لنفسه فالهوية تتعلق بالشخصية وبالعدد وبالتفرد و بالكيف"[3] .

---

[1] – بيتركوزن، البحث عن الهوية (الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله)، (ت ر) سامر جميل رضوان، ص93 – 95 – 96.

[2] –أنتوني غدنز، **علم الاجتماع**، ترجمة: فايز الصياغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، الحمراء، بيروت ، لبنان، 2005، ص 91.

[3] – حسن حنفي، الهوية، ص 14.

وعليه الهوية الفردية تطور هذا المصطلح تدريجيا عبر التاريخ مع تطور المجتمعات وحاجة تميز الفرد عن الآخر وأصبح اليوم أساسي في العصر الحديث بعدما كان في القديم يستخدم للوشم وعلامات جسدية لتميز الفرد، أصبح الآن في العصور الحديثة، على شكل بطاقات الهوية الالكترونية والبيانات البيومترية كل من الاسم، اللقب، النسب، المكان العمل، الجنس، الإمضاء وغيرها من المميزات الفردية.

ب-الهوية الاجتماعية:

هي جملة من الصفات والسمات المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد والوطن الواحد والثقافة الواحدة، والهوية الاجتماعية هي جزء من الهوية الشخصية.

"اكتسبت الهوية من المنظور الاجتماعي معنى الأنا الجمعي أو الجماعة، ليستمد الفرد الإنساني إحساسه بالهوية، فهو ليس مجرد فرد وإنما ينتمي إلى مجتمع يشترك فيه مع مجموعة من الأفراد في العديد من المعطيات والأهداف ...إذ أن المجتمع هو الذي يحدد ويفرض عليه الهوية من خلال الموقع الذي يحدده الفرد داخل النسيج الاجتماعي... يعتبر مفهوم الهوية من المفاهيم الاجتماعية التي حفل بها التراث الاجتماعي التربوي وعليه تنقسم الهوية إلى الهوية الذاتية self identity أي الشخص كما يرى نفسه، والهوية العامة الذاتية Subjective public identity أي شخص كما يتصوره الأخرون، والهوية العامة الموضوعية، objective public identity أي شخص كما يراه الآخرون".[1]

فالهوية الاجتماعية هي مجموعة من الأفراد لها نفس الأهداف والأفكار والمميزات، " مفهوم الهوية في علم الاجتماع متعدد الجوانب ، ويمكن مقاربته من عدة زوايا ، فالهوية، بشكل عام تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون لهم، ويتشكل هذا الفهم، انطلاقا من خصائص محددة تتخذ مرتبة أولية منها: الجنوسة والتوجه الجنسي، الجنسة، المنطلقات الإثنية الطبقات الاجتماعية تتضمن أبعاد اجتماعية فهي تعطي مؤشرات على الأفراد ((المتشابهون)) مثلهم مثل غيرهم من الناس والهويات المشتركة التي ترتكز على

[1] – مازية حاج علي، الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، رسالة دكتوراه، ص 17.

منظومة من الأهداف والقيم والتجارب المشتركة تستطيع أن تشكل قاعدة مهمة للحركات الاجتماعية"[1] وعليه الهوية الاجتماعية هي تشابه بين الأفراد في البيئة والعمل والدين والوطن وغيرها من العناصر التي تربطهم ، من جزء أساسي من هويتنا الفردية وتؤثر على حياتنا وتفاعلاتنا الاجتماعية.

ج/ الهوية الوطنية:

الهوية الوطنية هي جملة من السمات التي تميز الأمة عن غيرها، وذلك للشعور بالفخر والاعتزاز بالوطن، والرغبة في خدمته، والدفاع عنه، وبناء مجتمع متماسك، وتعزيز الهوية الوطنية الواحدة بين أفراد الشعب.

"هي الخصائص والسمات التي يتميز بها المواطنون داخل كل دولة، وتبرز تلك الخصائص روح الانتماء لديهم وتوظف في رفع معنوياتهم لغرض تقدم مجتمعاتهم وازدهارها ، وتشمل الهوية الوطنية عناصر أساسية بعضها مادي والآخر معنوي منها: الموقع الجغرافي والتاريخ المشترك، والمصالح المشتركة ، والحقوق المشتركة، ويتمتع أبناء الهوية الوطنية الواحدة بالحقوق ذاتها، كحق التعليم، وحق الملكية ، وحق العمل ويشتركون في الواجبات الفردية والجماعية، في المؤسسات تعمل وفق أساليب محددة كمؤسسات التربية و التعليم، والصحة والبيئة ، والاقتصاد و البنى التحتية، والدفاع والأمن، وغيرها من المؤسسات الوطنية تحمل روح العمل الجماعي لخدمة الوطن والمواطن، وتتجلى أهمية الوعي بالهوية الوطنية والالتزام بها في أثارها العظيمة الظاهرة على الفرد والمجتمع والوطن".[2]

[1] – أنتوني غدنز، علم الاجتماع (ت ر) فايز الصياغ، ص 90-91.

[2] – محمد الخضر عبد الباقي، التطرف وصراع الهويات، الهوية الوطنية مفتاح الحل، مكتبة التحالف، 2023-09-26، imcte.org.

إن الهوية الوطنية لها صفات وخصائص تميز المواطن من أجل انتمائه داخل وطنه وتلك المميزات التي يتميز بها تغدي شعور الولاء لديهم، من أجل تعزير حماسهم في إطار ازدهار مجتمعهم، تتميز الذاتية الوطنية عناصر جوهرية منها محسوسة والأخرى غير محسوسة على سبيل المثال البقعة الأرضية الماضي المشترك، المنافع المتبادلة، والحقوق المتساوية، وتظهر قيمة إدراك الذاتية الوطنية والتمسك بها في نتائجها الكبرى الواضحة على الفرد والمجتمع والبلاد.

ثالثا: عناصر الهوية

الشعوب تتفاوت في هوياتها وكل شعب يحمل هوية تميزه والهوية بدورها تحمل عناصر تميزها وهي كالتالي:

أ- الدين:

الدين هو مفهوم واسع ويمكن النظر إليه من زوايا مختلفة،" الدين هو الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة والعادة والتقليد من دان به أو دان بالشيء: أي اتخذه دينًا ومذهبا أي اعتقده أو إعتاده، ودان بالإسلام ديناً أي تعبد به وتدين، وهو الدين أو الملة ... وهو المنهج الذي يتبعه في علاقته أو عبادته أو خضوعه إلى الحاكم والسيد والمالك"[1]. وعليه الدين ليس مجموعة من المعتقدات، بل هو نظام شامل يوجه حياة الإنسان من خلال قوانين وأخلاق وممارسات محددة، سواء كانت القوانين الإلهية أو الاجتماعية، وهو المنهج الذي يتبعه الإنسان في علاقته مع الخالق". "والدين هو الجزاء والمكافأة والقضاء والحساب، ومنه قول العرب: كما تدين تدان، أيا كما تصنع يصنع

[1] – محمد الزجيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، ط خاصة، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1991، ص 15.

بك".[1] الدين هو نظام عدالة إلهية، يجازي الإنسان على أفعاله في الدنيا والآخرة ويعكس المثل العربي كما تدين تدان لتوضيح هذه الفكرة.

ب-اللغة:

إن اللغة من العناصر المميزة للهوية، وكل شعب ومجتمع لديه لغة يتواصل بها فيما بينهم من أجل التواصل والتخاطب وتبادل الأفكار بين المجتمعات." وتضم الهوية مكونات ثابتة وأخرى متحولة، ويزداد خطر طمس الهوية عندما يفقد المجتمع القدرة للحفاظ على الثوابت المميزة للهوية، مثل اللغة وباقي السمات الأساسية المحددة للهوية"[2]. الخطر الذي يهدد الهوية هو عدم قدرتها على الحفاظ على العناصر الثابتة، ومنها اللغة التي تُعد عنصرًا ثابتًا مهمًّا للهوية. فإذا بدأ المجتمع في استخدام لغة أخرى، فقد يفقد جزءًا من الهوية.

" إن انزلاق العرب المعاصرين في استعمال لفظة "هوية" من معناها الأنفولوجي لدى الكندي أو الفارابي أو ابن سينا أو ابن رشد، إلى دلالتها الأنثروبولوجية والثقافة الراهنة هو ليس خطأ اصطلاحيا أو استعمالا اعتباطيًا، بل هو يستجيب إلى نفس الداعي الخفي الذي دعا المترجمين العرب الأوائل إلى اعتماد ضمير "هو" لمقابلة فعل استين *εJiiv* في اليوناني هذا الانزياح من "هو" النحوي والأنثروبولوجي الى "الهو" الأنفولوجي لم يكن صدفة قط ، بل يستجيب لفهم سابق على الأنفولوجي ثاو عفوا في بنية اللغة العربية".[3]

إن فتحي المسكيني يشير في النص أن العرب القدماء كانوا يستخدمون كلمة "الهوية" بمعناها الفلسفي العميق أي كل ما يتعلق بالوجود والجوهر، والعرب المعاصرين

[1] – محمد الزجيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، ص15.

[2] – عبد السلام المسدّي، الهوية العربية والأمن اللغوي، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، تموز/يوليو 2014، ص246.

[3] – فتحي المسكيني، الهوية والزمان، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، اغسطس 2001، ص11.

يستخدمون الهوية بشكل أكبر في السياق الاجتماعي والثقافي، أي أن كلمة الهوية قد طرأت على عدة استعمالات في اللغة العربية وأن هذا التغير يعكس تطور الفكر العربي وأن المترجمين العرب الأوائل كانوا يتمتعون بفهم عميق للغة العربية واختيارهم اللغوي كان دقيق ومدروس دراسة عميقة.

جـ-الثقافة:

هي كل من المعارف المكتسبة عبر الزمن التي تؤثر على سلوك الإنسان، "فالثقافة اذن تتعرف بصورة عملية على أنها: 'مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه'، فهي على هذا التعريف المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته".[1]

كل إنسان يعرف عند ولادته تخلق فيه مجموعة من المميزات الخلقية والاجتماعية وعليه سلوكه لا شعورياً يتأثر مع حياته أي (عادات وتقاليد)، هذا ما وضعه مالك بن نبي في قوله عن الثقافة بشكل عام.

"يحظى اليوم مفهوم الثقافة، منظورًا إليه في معناه الممتد، والذي يحيل على أنماط الحياة والفكر بقبول واسع، على الرغم من أن ذلك لا يسلم أحيانا من بعض الالتباسات، ولكن لم تكن تلك هي الحال دائما، فمنذ ظهورها في القرن الثامن عشر، كانت الفكرة الحديثة عن الثقافة مذكية باستمرار، لمجادلات ومهما كان المعني الدقيق الذي أضفي على الكلمة – علما أن التعاريف تعددت ... إذ أن استعمال مفهوم الثقافة يقضي، مباشرة إلى المستوى

[1] – مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، (ت ر) عبد الصبور شاهين، ط 4، دار الفكر، دمشق، 1984، ص 74.

الرمزي وإلى ما يتصل بالمعنى، أي إلى ما يكون الاتفاق عليه أشدّ عسرا مما عداه."[1]نجد أن الثقافة اليوم تحظى بقبول واسع حين ينظر إليه بمعناه الشامل الذي يشمل أنماط الحياة والفكر، لكن هذا القبول لا يخلوا من بعض الالتباسات، فمنذ ظهور الفكرة الحديثة للثقافة في القرن الثامن عشر، كانت موضوعا لجدل مستمر، ورغم تعدد التعريفات إلى أن مفهوم الثقافة يقود مباشرة إلى المستوى الرمزي وهذا ما يصعب الاتفاق عليه وذلك يسبب الارتباط بالمعنى .

"الثقافة هي أخص ما يختص به الإنسان "نوعا" تجاوزا لكل التمايزات، شعوبًا وطبقات انفرطت "ثقافة"، إذًا في ايديولوجيا الأنوار كليا، إذ اقترن اللفظ بأفكار التقدم والتطور والتربية والعقل التي احتلت مركز القلب من فكر العصر. "[2]

يعني مفهوم الثقافة مرتبط مع إيديولوجيا، الأنوار في عصر التنوير، يوضح أن الثقافة هي أخص ما يميز الإنسان كنوع متجاوز وبذلك التمايزات بين الشعوب والطبقات وقد ارتبطت الثقافة ارتباطا وثيقا بأفكار التقدم والتطور والتربية والعقل، التي كانت في صميم فكر عصر التنوير.

"يأخذ مفهوم العام للثقافة طابع الشمولية على نحو واسع ويشمل في إطار عموميته هذه على الغايات المطروحة والمعلنة، فالثقافة في واقع الأمر كل مكتسب مشترك بين أفراد الجماعة، وتشمل أيضا على كل أشكال التعبيرات المختلفة والفعاليات المتنوعة التي تنبثق عن النظام المعرفي المكتسب."[3]

---

[1] – دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، (ت ر) منير السعيداني، (م ر) الطاهر لبيب، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، مارس 2007، ص 11.

[2] – المرجع نفسه، ص 18.

[3] – اليكس ميكشيللي، الهوية، ص27.

إن الثقافة كل ما هو مكتسب ومشترك بين أفراد الجماعة، حيث لا تقتصر فقط على المعرفة النظرية، بل تتجسد في أشكال التعبير المختلفة والفعاليات المتنوعة، وهي تشمل القيم والمعتقدات والعادات والتقاليد والعلوم والفنون غيرها.

د-التاريخ:

إن التاريخ يعتبر أداة تحافظ على الهوية الوطنية وبذلك: " يشكل تاريخ الجماعة منطلقا لتحديد هويتها ، إذ تتجذر الهوية الجماعية في تاريخها ، ويبرز تاريخ الجماعة وأثاره في صيغ مكتوبة كما يتجلى في تقاليد الجماعية، وأساطيرها وحكاياتها، وينطوي ذلك التاريخ أيضا على الأحداث الفردية والجمعية وعلى صورة أبطالها التاريخيين ، كما يشتمل على صورة الحياة السياسية للجماعة وأثارها، وعلى تقييم لأهمية تاريخ الجماعة الجمعي وأثره على تنظيم الوسط الحيوي، والبنية الديموغرافية والنشاطات الراهنة ، والبنية الاجتماعية وأخيرًا الآراء، الاتجاهات والمعايير السلوكية وموروثات الماضي".[1]

يشكل التاريخ أساس الهوية، وتتجذر الهوية من الماضي وتتجلى على صيغ مكتوبة وتقاليد وأساطير، يشمل التاريخ الأحداث الفردية والجماعية، وصور الأبطال، والحياة السياسية وتأثيره على تنظيم البنية الاجتماعية والآراء والمعايير السلوكية يعني مستورد لموروثات الماضي التي تشكل حاضر ومستقبل الفرد والمجتمع.

[1] – اليكس ميكشيللي، الهوية، ص23.

هـ –الوطن:

لكل فرد مكان ترعرع فيه يرتبط به ارتباط روحي ويشعر بالانتماء إليه " الوطن هو المكان الذي ولد فيه الشخص أو عاش فيه ويكون له ارتباط عاطفي خاص به إذ يشعر بالانتماء إليه".[1]

الوطن من المنظور العاطفي والإنساني الذي يرتكز على علاقة الإنسان الوثيقة في المكان الذي ولد فيه ويعيش فيه ويشعر بالارتباط العاطفي نحو مكان نشأته ويشعر بالانتماء إليه لأنه ليس مجرد قطعة أرض بل هو جزء من هوية الإنسان وتجاربه وذكرياته، والذي يشعر بالأمان والاستقرار إلا فيه.

" تم توثيق الكلمة الألمانية veterlant (-E– homeland) وتعني " الوطن الأم" ، لأول مرة في نهاية القرن الحادي والعشرين، وهي نسخة مختصرة من أصل الترجمة للكلمة اللاتينية Patria المعنى الأساسي " للملكية الأبوية " حيث أخذت الكلمة معناها الحالي "الوطن" البلد الذي ينتمي إليه الإنسان".[2]

وعليه الوطن في الأصل كان يعني الملكية الأبوية قبل أن يتطور ليصبح الأنا هو البلد الذي ينتمي إليه الإنسان وهو من عناصر الهوية الأساسية.

رابعا: التحديات التي تواجه الهوية الفلسطينية

إن التحديات التي تواجه الهوية الفلسطينية ليست مجرد صعوبات عابرة ، بل هي تحديات لا يمكن اختزالها في كلمات، بل هي صراع مستمر ومعقد ومتشابك، تتمثل في طمس

[1] – كفاية العبادي، ما مفهوم الوطن، موضوع، 28 /08/ 2018، mawdoo3.com.

[2] – عصام الياسري، مفهوم الوطن والوطنة، بين المنظور القيمي ومواقف أحزاب السلطة، العربية، 10/06/ 2020، alarabiya.net.

الهوية الفلسطينية وتهجير السكان، وتغير التاريخ وتقسيم الأراضي ، ومحو الذاكرة والتراث، ومختلف التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، هي صراع على الهوية والأرض وعلى الذاكرة والتاريخ ، وعلى الوجود والحق، هذه التحديات التي يفرضها الاحتلال الإسرائيلي على الفلسطينيين من أجل الاحتلال المستمر وتغيير الواقع الجغرافي ، وفرض القيود على حرية التعبير والتعليم، وإقلاع الشعب الفلسطيني من أراضيه وطمس هويته الفلسطينية – هي ليست تحديات فقط بل يجب على الشعب الفلسطيني الصمود والإيمان بالحق بالحرية والوجود، وأن هناك هوية واحدة هي فلسطين وحسب، والتضحية من أجل الحفاظ عليها ، لأنها كلها محاولات من أجل تغير وتشويه الذاكرة الجماعية.

"تعرض الفلسطينيون طوال القرن الماضي وحتى الآن، لمسارات متعددة وتأثيرات عوامل مركبة أثرت في هويتهم الوطنية الجماعية بحسب أماكن انتشارهم ، وقد مرت هذه الهوية حسب التحولات السياسية والمنعطفات التاريخية التي شهدها الشعب الفلسطيني وقضيته مراحل ظهور وتجدد ، و مراحل استعداد وتأمل، غير مراحل خضع فيها الشعب الفلسطيني لحالة مستدامة من القمع ومحاولات الانكار لوجوده، ولا شك بأن هذه الهوية تمر الآن بواحدة من أخطر المنعطفات، وذلك بسبب تكثف الصراع على ما تبقى من الأراض، وبسبب ما تمر به المجتمعات العربية من تحوطات متسارعة ، وبسبب تكاثر الأسئلة الوجودية والخوف على مستقبل القضية ".[1]

واجهت الهوية الفلسطينية تحديات مستمرة طوال مدار القرن الماضي تحولات معقدة وكل ذلك بسبب الاحتلال الإسرائيلي، مما أدى إلى الضعف الذي تمر به الهوية الفلسطينية ومحاولة انكار وجودهم ومخاوف عميقة حول مستقبل القضية الفلسطينية. تتشظى الهوية " منذ منتصف القرن الماضي توزع الفلسطينيون على تشكيلات اجتماعية متعددة ومتنوعة تتجه للأوضاع السياسية والحروب المتوالية التي ابتدأت بالنكبة وحرب سنة 1948، والتي

[1] – أحمد جميل عزم وآخرون، قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني، ص03.

أدت إلى تشظي المجتمع الفلسطيني وتهجير ما يقارب نصف سكانه إلى دول الشتات العربي (الأردن، لبنان، سوريا، مصر) وإلى الضفة الغربية المجاورة، ومن ثم جاءت حرب حزيران سنة 1967 لتتبع اسرائيل احتلال ما تبقى من فلسطين وعزل الضفة الغربية وقطاع غزة عن باقي الدول العربية المحيطة .... وهو ما أدى إلى هدم التواصل الجغرافي والمجتمعي وشرذمة المجتمع الفلسطيني إلى مناطق جغرافية واجتماعية واقتصادية متناثرة معزولة، وبذلك كان للأوضاع السياسية المأساوية المتعاقبة التي مر بها الشعب الفلسطيني خلال ما يزيد قرن وما نجم عنها سياسيا وثقافيًا واجتماعياً والأثر الكبير في ضرورة تبلور هويته الوطنية الجماعية التي ارتبطت عضويا مع تبلور المشروع الوطني الفلسطيني وما طرأ عليه من تحولات في مواجهة مشروع الحركة الصهيونية".[1]

من خلال هذا النص نجد أن الهوية الفلسطينية بدأت من القرن الماضي بالتشتت وتشكيل جماعات متنوعة نتيجة الحروب والتهجير ومختلف الأحداث السياسية والتاريخية التي أدت إلى تفريقهم في دول الشتات العربي والضفة الغربية وغزة، وهدمت التواصل الجغرافي وهذا ما أثر بشكل كبير على الهوية الفلسطينية وتأثرت بتحولات الصراع والحركة الصهيونية.

ومن "أخطر التهديدات التي تواجه هذه الهوية يتمثل في كسر أي ضلع من مثلث القوة الذي تنبني عليه، والمتمثل في وحدة الشعب ووحدة الأرض ووحدة القضية، وكان يستدعي إدراكا بأن أهم واجب للشعب الفلسطيني بعد هذا الإنجاز يتشكل في الحفاظ على هذه الهوية ومراكمة المنجزات بعدها، وعدم السماح بتضليع أضلاع مثلث الهوية بأي شكل من الأشكال، وتحت أي من المغريات أو أي تسوية سياسية مع الحركة الصهيونية

[1] – أحمد جميل عزم وآخرون، قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني، ص 03-04.

وكيانها الغاضب، لأن هذا من شأنه أن يغري هذه الحركة بالعودة ثانية لتجريب الإبادة من خلال مقاربات وأشكال جديدة "[1].

إن أخطر ما يهدد الهوية هو تفتيت الوحدات الثلاث الأرض والشعب والقضية، ولهذا يجب الحفاظ على هذه الوحدات السماح للعدو السيطرة وتحطيم هويته. وعدم السماح للعدو بالسيطرة وتحطيم هويته.

"ولقد تعايشت الهوية الفلسطينية مع خطوط التماس وولدت من فوهة التحديات المصيرية دون أن تعرف ما الذي ينتظرها في اليوم التالي، فالأرض من حولها اهتزت كما لم تهتز في مكان آخر بينما أحاطت بها السجون، وكبّلتها حياة المخيمات وحصار الأسلاك الشائكة والجدران العالية ... مرت الهوية الفلسطينية ككل هوية مضطهدة ، بمراحل ظهور و تجدد ومراحل استعداد و تأمل"[2] ، من الرغم ما واجهته الهوية الفلسطينية من تحديات قاسية كقيام إسرائيل والتهجير القسري وحياة المخيمات، إلى أنها حاولت لتخلق لنفسها مسارات متنوعة والحفاظ على روحها وتفاعل مع مختلف الظروف التي مرت بها، على الرغم من التحديات التي مر بها الفلسطينيون إلا أن الشعب استطاع الفلسطيني الصمود والتمسك بالثوابت الوطنية والحفاظ على التراث الثقافي وتعزير التعليم والثقافة والتواصل مع العالم وإيصال كلامه إلى الكل عبر مواقع التواصل الاجتماعي في الكتابة والتصوير والنشر إلى العالم وإظهار الصور الحقيقية التي هي عليها ليست تلك الصورة المزيفة

---

[1] – ابراهيم عجوة، الهوية الوطنية الفلسطينية بين التكريس والتخليع، الجزيرة، 2010/04/24، https://www.aljazeera.net.

[2] –فؤاد المغربي وآخرون، التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية، ط1، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية، فلسطين –رام الله، أيار / مايو 2013، ص17.

والمستعارة ، و" في هذا الزمن وفي اللحظات التاريخية التي تشهد تحولات كبرى في العالم العربي، يجب إعادة قراءة التجربة الكفاحية المسلحة، كما يجب في نفس الوقت استلهام التجارب ... في مجتمعات شتى لكل هذا أثر حاسم على نمو الهوية وتطورها ، ستؤدى أنماط جديدة للمقاومة المدنية إلى مرحلة جديدة من الكفاح.

فالمقاطعة وإحياء الذاكرة ، والمقاومة بواسطة الفن، والمسرح، و السينما، والأفلام والأغنية، و التعبير، والكتابة، والتعليم، والثقافة، والمسيرات المنظمة ، والأعمار، وبناء المؤسسات ودعم الإبداع وزرع الأشجار، وتحدي الموانع والحواجز، وحماية الحريات والتنوع قد تكون الشكل الأهم للمقاومة في المراحل المقبلة، في لحظة تحول بإمكان هذه المقاومة أن تعززها وتقويها وتبرز نقاط قوتها، فتهزم أعداءها في فكرهم وأخلاقهم وسلوكهم و مرحلتهم التاريخية قبل أن تهزمهم في ساحة الوعي،"[1] إن زمن التحولات التي مرت بها الهوية الفلسطينية والتحديات التي شهدتها من طرف المستعمر، يجب النظر فيها واستخدام أساليب متنوعة مثل الإعلام والتعلم يمكن قد تكون أداة تقضي على كل التحديات التي تمر بها ، وتتفوق عليها فكريًا وأخلاقيًا وتحقيق النصر وتصبح فلسطين حرة مستقلة ذات سيادة وهوية.

[1] – فؤاد المغربي وآخرون، التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية، ص19.

الفصل الثاني: أدب السجون الفلسطيني وتمظهرات الهوية في رواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي

المبحث الأول: دراسة فنية لرواية "قناع بلون السماء"

أولًا: سيميائية العنوان

- عتبة العنوان.
- عتبة الغلاف.

ثانيًا: سيميائية الزمان والمكان في الرواية

أ-دراسة الزمان

- زمن الاسترجاع.
- الزمن الحاضر.

ب-دراسة المكان

- أماكن مفتوحة.
- أماكن مغلقة.

ثالثًا: دراسة الأحداث في الرواية

أ- رحلة البحث عن مريم المجدلية.

ب-رسائل خفية من وراء القضبان.

ج-تسجيلات صوتية إلى الغائب عبر ملاحظات في الهاتف.

د-لقاء نور مع الهوية الزرقاء في سوق يافا.

هـ-وقائع فلسطينية.

و-قناع الهوية ورحلة البحث عن مريم المجدلية.

ز-من قناع أور إلى طريق السماء.

رابعا: دراسة الشخصيات في الرواية

أ- شخصيات رئيسية.

ب-شخصيات ثانوية.

أولا: سيميائية العنوان

يعتبر أي عنوان من الأعمال الأدبية بمثابة عتبة أولية التي يراها القارئ ويقفز بها إلى عالمه الخاص في إطار الفضول أو تكشف أفكاره، كل هذا من خلال العنوان وتدعو المتلقي إلى الغموض والتفصيل أكثر في إطار كشف العمل والتعرف عليه، ولهذا كل كاتب وأديب يستخدم عنوانًا لعمله الأدبي مثل ما يسمى المولود، هناك ما يسمى قبل وهناك بعد، وهكذا في العمل الأدبي تجد هناك من يقترح العنوان قبل الكتابة وهناك بعده حسب نوع العمل الذي يكتب. لهذا الكاتب باسم خندقجي عنون روايته "قناع بلون السماء"، وكل منا لم يرَى هذا العنوان يطرح عدة تساؤلات حتى يعلم معنى العنوان وعلاقته بمتن الرواية، لأنه بمثابة رمز مركب يدعو للتفكير في المعاني والعلاقات التي يحملها.

أ-عتبة العنوان:

يتكون العنوان من جزأين أساسيين: "قناع" و"بلون السماء."

الجزء الأول "قناع" بالمقابل في اللغة الأجنبية .Mask ذكره الروائي في روايته، "إنها تشبه في لفظها ومعناها الرديف بالإنجليزية Mask" وتلفظ بالعبرية مسخاً. فإذا قمنا برش قليل من العربية عليها، تصبح لفظة "مسخ"، والمسخ بالعربية تعني المشوه الملامح، مسخ ومسيخة، فهو ممسوخ مسخًا، وأنا لا أرتدي قناعًا، أنا أرتدي مسخًا، بل أنا هو المسخ الذي وُلِد من رحم النكبة، والأزقة، والحيرة، والغربة.

والصمت :صمت أبي وموت أمي، ومطاردتي في أزقة المخيم بلقب السكناجي .. وُلدت من رحم التهميش والتصنيف وسجنك أنت يا مراد.. وُلدت من مرأة أور شابيرا، ومن شركة شكيب القصابي للسياحة و السفر.. أنا المسخ، يا صديقي، فهل من رحم يلدني مرة أخرى إنسانًا؟! هل من سماء أتجلَّى بها نورًا وناراً}[1]"؟! فالقناع ليس مجرد غطاء رائف بل هو

[1] -باسم خندقجي، قناع بلون السماء، ص229.

مسخ للذات، تشويه للهوية الأصلية، إنه ارتداد إلى حالة المسخ حيث تتداخل الملامح ويختلط الحدود بين الأصيل والمنتحل.

هذا القناع الذي يرتديه الراوي يمثل وليد النكبة، صوتًا للضياع والاغتراب، نشأ في رحم الصمت والمعاناة. إنه قناع الهوية البديلة، هوية أور شابيرا التي تمنح صاحبها امتيازات زائفة، لكنها في العمق مسح للذات الحقيقية. هذا المسخ يطرح أسئلة وجودية عميقة حول معنى الإنسانية والبحث عن الذات الأصيلة في عالم مشوَّه بالصراع والاحتلال.

القناع نجده يُستخدم لتغطية الوجه وإخفاء الملامح. "إنها الملامح إذن، الملامح قناع. صرخ، رقص، غطس في بحر يافا"[1].

يرمز القناع إلى إخفاء الشخصية الموجودة هناك هي شخصية " نور" التي استبدلها بشخصية "أور"، وذلك لأسباب ذاتية ولظروف قاسية وصعبة لمواجهة الواقع والمشاكل لأن أور هو الشخصية الإسرائيلية التي يمكنها التجول في القدس بكل حرية، وحتى الانضمام إلى موقع البحث عن الآثار كان بالنسبة له وسيلة للذهاب إلى هذا المعهد في منطقة مجدو، للبحث عن مريم المجدلية، هنا تحول من نور مهدى الشهدي إلى أور شابيرا وبالصدفة يجد "الاسم العبري الذي يعني بالعبرية نور مثل اسمه تمامًا، علَتْ وجهه ابتسامة خفيفة أثناء تأمله للهوية"[2]. وهنا أور تعني نور بالعبرية وهذا ما يجعله يشعر بالسعادة.

وقد استخدم هذا القناع بالإضافة إلى ما يحمله من ملامحه الأجنبية وطلاقة لسانه في العبرية والإنجليزية. وعليه، يذهب بهذا القناع إلى منطقة مجدو لمرج بن عامر ليلتحق بالبحث عن الآثار في مستوطنة مشمار هعيمق. غير كل شيء من ديانته واسمِه ولغته وحتى قلادة داود التي كان يلبسها، ولكن هل يستطيع نور أن ينزع هذا القناع هو أور أم لا؟ أم يبقى طوال حياته بهذا الاسم المستعار؟ وماذا لو كشف أمره؟ كل هذه التساؤلات

[1] –الرواية، ص42–43.

[2] –المصدر نفسه، ص44.

تجدها في ذهن نور، الذي كان في حوار متواصل مع نفسه أور. "همس أور بأذن نور الذي ردّ عليه بالهمس ذاته:

– أنا أرتديك كما أشاء، لا كما تشاء أنت".

–سأفضحك... سأقول لصاحب المكتبة إنك محتال، وتنتحل شخصية ليست لك... شخصية يهودية.

– هل أنت صهيوني حقًا أم يهودي فحسب؟

– وما الفرق؟

ثمّةَ فرق شاسع... فأنا لا أعتقد أنّني وأبا إبراهيم لدينا مشكلة في كونك يهودي، بل في كونك صهيوني... ما به نور الحائر ما بين نور و أور؟... نور وأور و أور ونور"[1].

نستخلص من هذا الحوار الذي جرى بين الشخصيتين حديثهما عن الهوية، فنجد أن القناع في عنوان الرواية رمز لإخفاء الهوية الحقيقية أو جزء منها، وحتى هي عبارة عن رحلة للبحث عن الذات الحقيقية بين نور وأور خلف القناع الذي رفضه الواقع.

– أما في الجزء الثاني "بلون السماء"، تجد أن القناع يرتبط بلون السماء، لكن قبل لون السماء نجد حرف الجر "ب" الدال على اللون، أي أن القناع لونه بلون السماء، وإن السماء غالبًا ما تكون في غاية الجمال، وفي أغلب الأحيان تكون مخيفة، خاصة في فلسطين بعد التفجيرات وعمليات القصف، تكون مغيمة كأنها تبكي وتطلب النجدة والمساعدة.

السماء تكون بمثابة الحرية والأمل والتفاؤل والصفاء والنقاء، وفي الجانب الآخر تعني السجن واليأس والظلام والخوف. لهذا، ليس كل ما بلون السماء جميلًا، بل يمكن أن يكون أسوأ مما تظن.

هنا العنوان يبدو لنا بسيطًا في مظهره، لكن حين نتعمق فيه نجد معاني أخرى تثير القارئ، لأن ربط القناع الذي يدل على الاختفاء مع لون السماء الذي يدل على الحرية

[1] – الرواية، ص107.

والأمل أو السجن واليأس، يعني من هذا التناقض يدعو المتلقي إلى التفكير ومحاولة فهم العنوان أكثر، أي هو قناع لتلوين الواقع الصعب، أو كشف لون السماء عن الحقيقة الخفية في الواقع هي القناع.

إن العلاقة بين القناع ولون السماء ليست بمثابة علاقة سطحية، بل هي علاقة ارتباط وتأثير وتأثر، لو ذهبنا إلى المعنى، نجد كلًّا منهما يحمل معنى يعني القناع هو الإخفاء وأما السماء، فتعلن هنا تضاد يعكس نوعًا من الصراع ما بينهما، وحتى يمكن القول: السماء هي بمثابة آفاق الحرية، والقناع هو وسيلة لإخفاء الواقع.

"– سعيد، أنت الآن أيها المخرب الصغير، أليس كذلك؟"

– ولِمَ لا أكون سعيدًا؟"

– هذا يعني أنك تؤيد قصف المدنيين الأبرياء وتدميرهم؟"

– دعك من هذه الأسطوانة المشروخة، فالأبرياء يُهجّرون من بيوتهم في حي الشيخ جراح الآن، بسبب صواريخكم الجغرافية المقدسة، كما أن غزة ستحترق بعد قليل بحمم قصفكم لها".

–أور... ما رأيك بي بعد مرور ثلاث سنوات على لقائنا الأول في سوق الخردوات في يافا؟

ألا تعتقد أنني إنسان ولست مجرد كائن بلا اسم وملامح؟ كائن مصنف مسبقًا بوصفي إرهابيًّا أو مخربًا؟"!

– أنت أصبحت إنسانًا خلال هذه المدة بفضلي أنا .. بفضل هويتي

–فإذا ما نزعتُ قناعك الآن، ألا أصير إنسانًا؟"

– أجبني .. أرجوك".

– حسنًا .. لا أعلم .. ربما! لكنني أخشى من اختفائي أنا إذا ما أصبحت أنت إنساناً.

فإذا ما حدّقتَ أنت بالمرآة الآن، فمن سترى؟

سأراك أنت.

بل سترى إنسانًا."[1]

من هذا الحوار بين نور وأور الأخير، نجد أن نور اعتبر القناع بمثابة رمز يحاول الاحتلال والسجن فرضه على الهوية الفلسطينية، سواء من خلال تشويه سمعة فلسطين أو طمس حقيقتها.

فإن نور يمثل بمثابة استطاعته من تجاوز هذا القناع واستعادة هويته الحقيقية، وهي الهوية الفلسطينية، وعندما يقول نور في النص: ما رأيك بي بعد ثلاث سنوات، هنا يشير إلى التطور واستعادة الوعي الداخلي الذي فرضته الظروف عليه.

ودلالة "قناع بلون السماء" تتجاوز الوصف الظاهري، فهي تعبر عن حجب الهوية الفلسطينية الأصلية، وعليه لون السماء يشير إلى الأمل والقدرة على تجاوز هذا القناع أو الحجاب واستعادة الجوهر الأصلي والتمسك بالهوية، بعد فترة من الزمن.

بالإضافة إلى ما سبق، وفي سياق أحداث الرواية، يكتسب رمز "البطاقة الزرقاء"، بوصفها بطاقة هوية إسرائيلية، دلالة مضادة، ولكنه يظل في غاية الأهمية عند ربطه بعنوان "قناع بلون السماء"، وعليه فإن القناع هنا يشير إلى إخفاء أو تزييف الهوية الفلسطينية الأصلية، لأن "البطاقة الزرقاء" هي رمز للهوية المفروضة أو البديلة التي يسعى الاحتلال لفرضها.

بطاقة أور هي زرقاء اللون، وحتى السماء زرقاء اللون، هنا تحمل دلالة اللون، وكونها "بلون السماء"، فإن هذا اللون عادة ما يوحي إلى الأمل والحرية، لكن هنا يصبح هذا القناع هو عبارة عن غطاء خفي، ويمثل واقع الاحتلال على الهوية الحقيقية، ووجود بطاقة زرقاء إسرائيلية تمثل هنا في الرواية الصراع الذي بين الهوية الفلسطينية الأصلية والهوية الإسرائيلية المزيفة، ومحاولات طمسها واستبدالها بهوية أخرى، ليصبح "قناع بلون السماء" هنا القناع الإسرائيلي الذي يدل على التناقض بين المظهر والباطن، والزائف والمغتصِب.

[1] – الرواية، ص233–234.

"لا.. لا أقنعة في رام الله .. رام الله هي القناع"[1].

العنوان يشير إلى تناقض وتزييف، ويرمز القناع إلى الإخفاء، والسماء ترمز إلى الوضوح والحرية، ويمثل الواقع المعقد الذي يعيشه الفلسطينيون، والمحتل الذي يحاول طمس هويتهم وفرض واقع مزيف، والذي يصف رام الله بأنها القناع نفسه، مما يوحي بأن التزييف أصبح جزءًا لا يتجزأ من الواقع المعيشي، وأن الفلسطينيين يعيشون في ظل "قناع" يخفي هويتهم الحقيقية.

تحيل كلمة "سماء" في العنوان إلى سماء إسماعيل، ويقوم نور، بكتابة ملاحظة لصديقه مراد، يقول: "مراد... هل قلت لك، ماذا يشبه وجه سماء إسماعيل في لحظات الصباح الأولى؟

"إنه يشبه سدرة المنتهى... لا، بل صباح العيد، عيد الطفولة البعيدة[2]".

وصفها نور بسدرة المنتهى، وقد ذُكرت في القرآن الكريم في سورة النجم، في قوله تعالى: "عند سدرة المنتهى[3]"، حيث فُسرت في "الميسر" والمختصر في التفسير من ذلك عند سدرة المنتهى وهي شجرة عظيمة جدًا في السماء السابعة"[4].

أما الجلالين ففسرها " لمّا أُسري به في السماوات، وهي شجرة نبق عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم"[5].

وكذلك وصفها بعيد الطفولة البعيدة، "والذي هو عبارة عن مناسبة عالمية يُحتفل بها سنويًا في يوم توقيع الاتفاقية نفسها التي تنص على جميع حقوق الطفل، والتي يتم الاحتفال بها في شهر نوفمبر من كل عام"[6].

---

[1] – الرواية، ص73.

[2] – المصدر نفسه، ص 188.

[3] – سورة النجم، الآية 14.

[4] – تفسير "عند سدرة المنتهى"، القرآن الكريم، 2016، https://surahquran.com.

[5] – نفس المرجع.

ومن هذا الوصف في لحظات الصباح الأولى، شبهه نور بـ "سدرة المنتهى" و"عيد الطفولة البعيدة"، وهما صورتان تحملان دلالات روحانية وبراءة، وبناءً على هذا، يمكن أن يكون "قناع بلون السماء" إشارة إلى هذا الصفاء الظاهر أو البراءة التي تبدو على وجه سماء إسماعيل، والتي قد تُخفي وراءها واقعًا أعمق، فوجهها الهادئ والجميل قد يكون بمثابة قناع يُخفي شيئًا ما، تمامًا كما قد يوحي لون السماء بسلامٍ ظاهري يحمل في طياته الكثير.

و"النظر إلى سماء إسماعيل، كان مجرد النظر إليها يريحه مستمدا طهره منها، دون أن يجرؤ على الاقتراب منها أو المشاركة في حديث هي من تقبض على ناصية الحوار فيه."[1]

وقد يوحي لون السماء الأزرق المرتبط بسماء إسماعيل بالصفاء والنقاء الظاهري الذي بدا عليها، كما يوحي بالاتساع والأمل الذي قد تمثله في حياة الآخرين، لكن هذا اللون الهادئ قد يُخفي وراءه أيضًا عمقًا أو حزنًا، كما قد تحمل السماء في زرقتها أحيانًا غيوما أو عواصف.

ب-عتبة الغلاف:

عنوان قناع بلون السماء لباسم خندقجي مكتوب على غلاف الرواية، يمكن معرفة معناه فقط من الغلاف الذي يحمل في طياته دلالة عميقة تتجاوز دلالة العنوان بل تمثل مدخلا بصريا مكثفا لعالم الرواية وقضاياها.

يظهر في الغلاف شخصان، يمكن أن نرمز لهما "بنور" و"اور" في إشارة إلى التناقض والتداخل بين الهويات، يرتدي كل منهما نظارات شمسية تعكس جزءا من الواقع، بينما يوجد نور خلف أور يعني هو القناع الذي يرتديه نور حيث يظهر بشكل جيد وألوان

---

[6] – هديل طالب، "بحث عن عيد الطفولة"، موضوع، 12/ 2021/04، https://mawdoo3.com.

[1] – الرواية، ص185.

ملابسه عكس أور الذي يظهر بشكل غامق، ربما دلالة على رؤية مختلفة أو وعي عميق.

خلفهما تتجلى صورة القدس بقبعتها الذهبية كرمز للصمود والأمل، رغم أن السماء تبدو ملبدة بالغيوم والدمار الناتج عن التفجيرات وعمليات القصف، مما يعكس الواقع المرير التي يعيشه الفلسطينيون، هذا التناقض بين جمال القدس وخراب الواقع يزيد من حدة التعبير عن معاناة الهوية الفلسطينية.

وتبرز في الغلاف أيضًا بالونات معلقة في الهواء قد ترمز كذلك إلى الأحلام المعلقة أو الرغبة في الحرية التي لم تتحقق أما الهوية الزرقاء والتي تمثل هوية أور" الإسرائيلية التي يستعملها نور كقناع، فتشكل عنصراً دخيلا على المشهد وتذكر بالقناع الذي يحاول الاحتلال فرضه على الهوية الفلسطينية، والرمز الموجود أسفل الرواية يضيف بعدا ثقافيا وتاريخيا آخر، يمكن ربطه بالتراث الفلسطيني الأصيل. بشكل عام، يعكس الغلاف صراع دلالة العنوان قناع بلون السماء الذي يجمع بين الأمل والألم ، والجمال والدمار، والوضوح والغموض ، ويوحي بالخداع والتلاعب بالهوية ويشير إلى السماء كرمز للأمل والحرية. إن عنوان قناع بلون السماء هو عبارة عن دلالة مكثفة تتطلب عدة شروح على حسب فهم أحداث الرواية، نجد أنها تختزل الصراع، الهوية الفلسطينية في ظل الاحتلال وعليه القناع بمثابة الإخفاء والتشويه ولون السماء الذي يحمل الأمل والحرية وحتى اليأس والسجن الذي يعيشه كل فلسطيني من حتمية وقمع وتعذيب وقصف والبطاقة الزرقاء بمثابة رمز واقعي للقناع المفروض و الغطاء الذي يحاول طمس الهوية الحقيقية بالهوية المزيفة.

ثانيا: سيميائية الزمان والمكان في الرواية

تلعب ثنائية الزمان والمكان دورًا أساسيا في بناء عوالم الروايات وسرد أحداثها، وفي رواية قناع بلون السماء للكاتب باسم خندقجي لا يختلف الأمر، فهذان العنصران لا يشكلان فقط إطارا للأحداث والشخصيات، بل يساهمان في إبراز دلالات أعمق تتعلق بالهوية والصراع، سوف تتناول في هذا الجزء كلا من الزمان والمكان على حدى.

أ-دراسة الزمان:

في كل عمل أدبي، يشكل الزمن عنصراً جوهرياً، يحدد هذا الزمن مسار الأحداث ويشكل رؤية العالم الروائي. يتخذ الزمن أشكالاً متعددة، يمكن أن يكون في الحاضر على شكل خط مستقيم، أو يكون في الماضي عبر تقنيات الاسترجاع، أو يعود إلى المستقبل عبر التوقع، أو يجمع بين هذه الأزمنة المتنوعة في عمل أدبي واحد. وفي رواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي، استخدم نوعين أساسيين في عمله الأدبي:

الزمن الحاضر:

هذا الزمن يتميز بتسلسل الأحداث في الزمن الطبيعي، الذي يمنح سرد الأحداث تسلسلاً زمنياً منتظماً، مثلما فعل باسم خندقجي في روايته قناع بلون السماء بدأ سرد الأحداث من 19 نيسان 2021 إلى 12 أيار 2021، زمن الأحداث في الحاضر كان بشكل منتظم متسلسل بشكل يومي "الاثنين19 نيسان 2021، فجر السابع من رمضان"[1] هنا الكاتب لا يكتفي بالإشارة إلى أن الأحداث تجري في الزمن المعاصر، بل يحدد بدقة تاريخ وقوعها وهذا التاريخ يضيف مصداقية للواقعية من خلال تحديد اليوم والشهر والتاريخ ، و يؤكد على أنه جزء من الواقع المعيشي ، وهناك فرق في التوازن بين زمن الرواية وزمن القراءة لأن القارئ يقرأ في 2025 يدرك أن الأحداث وقعت قبل أربعة سنوات فقط و يشعر أنها قريبة منه ، والكاتب أراد من التحديد الزمني الدقيق يؤكد على حقيقة الأحداث بالفعل وقعت وهي تتقاطع مع القضية الفلسطينية ومشكلة الهوية، واستعمال الأسير خندقجي هذا التحديد الزمني الدقيق هو اختيار فني مقصود وله عدة دلالات مختلفة ترتبط بالجانب التاريخي والاجتماعي وفيها توازن بين زمن الرواية وزمن القراءة ، " صباح الاثنين – 19 نيسان 2021 الموافق للسابع من رمضان"[2]. نجد تاريخ "الصباح" ليس مثل التاريخ الأول

[1] – الرواية، ص 11.

[2] –المصدر نفسه، ص35.

"الفجر" ، وتاريخ أخر في المساء يقول "مساء الاثنين19 نيسان"[1] وتاريخ أخر يقول " مساء الاثنين بعد المغرب 19 نيسان"[2]، لا يكتفي الكاتب بتحديه اليوم بل يحدد الوقت «فجر الاثنين، صباح الاثنين، مساء الاثنين، بعد المغرب... » وهذا التنظيم لديه عدة دلالات هي خلق الإيقاع من خلال تتبع ترتيب زمني دقيق وتأثر على القارئ تجعله يعيش الأحداث مع وقوعها، ويعزز واقعية السرد في الرواية وفي التواريخ الأخرى كذلك لا يكتفي الكاتب بتحديد اليوم والشهر فقط بل يحرص على التواريخ بتسلسل دقيق " 20 نيسان ، 21 نيسان، 22نيسان، 23 نيسان 12آيار"

مما يدل على أهميته البالغة في تنظيم الزمن في الرواية، فإن هذا الترتيب المتكرر يضيف إلى الأحداث مصداقية وواقعية.

"يتأمل الحجرة يحدث معطفه الجلدي الإشكنازي، ينتفض عن سريره، يهرع نحو خزانته ينتزع من داخلها صندوقًا خشبيًا صغيرًا، يفتحه، يُخرج من أحشائه بطاقة هوية زرقاء اللون وقلادة ذهبية تحمل نجمة داوود، يضعها في جيب بنطاله، ثم يُخرج ما تبقى معه من مال... 1200 دولار، يقسمها: 600 له و600 لأبيه وخديجة... شيخ مرسى، ها أنا في طريقي إليك... إلى القدس"[3].

في يوم 20 نيسان 2021 هنا يتخذ نور قرارًا حاسمًا بالقرب مسار إلى الشيخ مرسى في القدس، ويمثل هذا القرار يمثل نقطة تحول مسار الأحداث ورحلة البحث عن الهوية الحقيقية. ومن هنا يتغير مجرى الأحداث السابقة واللاحقة واليومية في موقع التنقيب وما يصاحبه من أحداث أخرى.

---

[1] – الرواية، ص45.

[2] – المصدر نفسه، ص48.

[3] – المصدر نفسه، ص79.

"تفقّد بطاقة هويته المزوّرة، ثم أخرج من جيب صغير في حقيبته قلادة نجمة داوود الذهبية .. يتأمل نفسه في المرآة للمرة الأخيرة، وهو يضع على رأسه نظارته الشمسية ذات الإطار المعدني الرفيع والمذهب.. تناول ملفه الورقي المحشو بتفاصيل هويته الجديدة ومضى"[1].

هذا اليوم، 21 نيسان، يمثل مرحلة انتقالية في رحلة نور، حيث يبدأ التفاعل مع محيطه الجديد بهوية جديدة، ويواجه التحديات التي تفرضها عليه هذه الهوية، وكل من أحداث من لقائه ببريان" إلى انضمامه إلى فريق التنقيب، تكشف التعقيدات والصراعات التي يواجهها في سبيل تحقيق هذا الهدف.

"سماء أنا لست يهودي أنا عربي مثلك.....ماذا؟ هل تريد أن تلعب معي إحدى ألاعيبك القذرة ؟ ...."[2] في يوم 10 أيار يكشف نور عن هويته الحقيقية كعربي فلسطيني وهذا الاعتراف يمثل لحظة حاسمة في الرواية والصراع الذي يعيشه نور بين الحقيقة والهوية المزيفة، فبعد أيام من التظاهر على أنه أور في موقع التخييم لم يعد قادرا على تحمل هذا القناع ويكشف حقيقته ومن هنا تتغير الأحداث وتؤثر على حبكة الرواية واستعادة نور لهويته الفلسطينية، وفي 12 أيار يصل الزمن الحاضر في الرواية إلى ذروته ، ويتوقف موسم التنقيب، وتتجه الأحداث نحو خاتمتها في هذا اليوم تتجلى لحظة فارقة في مسار نور، حيث تأتيه سماء وتمنحه ثقتها و تدعوه للرحيل معها وهنا ينتصر نور في صراعه مع الهوية ويستعيد حريته وكرامته وينطلق نحو مستقبل جديد في طياته الأمل والتغيير.

– **زمن الاسترجاع** : يكسر التسلسل الخطي للأحداث و يعود إلى الماضي ويستحضر ذكرياته وأحداث معينة مما يضيف للرواية بعدا عميقا أكثر، ويكشف عن حقائق ويقدم معلومات أساسية تتركنا نفهم الرواية أكثر وربط العلاقة بين زمن الماضي والحاضر والكاتب هنا وظف في روايته قناع بلون السماء تقنية الاسترجاع لأحداث زمنية وقعت في الماضي في ولادة نور و دخول صديقه مراد السجن وحتى الحدث الأساسي كيف وجد

[1] – الرواية، ص97.

[2] – المصدر نفسه، ص222.

قناع أور، كلها تعتبر أحداث وقعت في الماضي مثل دخول مراد السجن في أواسط آب 2011 أي قبل عشر سنوات، وهذا الاسترجاع يسلط الضوء على الظروف التي مر بها مراد ويقدم لنا عن معاناته وتأثيره على حياته وكذلك ولادة نور ووفاة والدته في عام 1991 هذا الاسترجاع يكشف عن حدث كبير هو فقد والدته نورا في يوم ولادته، ودخول والده السجن قبل ولادته بأشهر، ليخرج منه بعد خمس سنوات هذه الأحداث المتتالية تكشف حياة نور وهي جزء من هويته وتجربته، أما الحدث الرئيسي والمهم هو العثور على الهوية الزرقاء قبل ثلاث سنوات من أحداث الزمن الحاضر، يعثر نور على الهوية الزرقاء الإسرائيلية الخاصة بأور شابيرا في سوق الخردوات في يافا، هذا الاسترجاع يوضح كيف حصل نور على الهوية التي تقمصها في الزمن الحاضر، و يكشف عن بداية رحلته في البحث عن هويته الأصلية، هنا باسم خندقجي يستعين بتقنية الاسترجاع الفني للكشف عن أحداث وقعت في الماضي وهي جزء مهم من الرواية وتطور شخصياتها، ولا تقصر على سرد أحداث من الماضي فقط بل تعمق في الشخصيات وتساهم في بناء عالم الرواية وتكشف جوانب اجتماعية وتاريخية متعددة التي تناولتها الرواية.

ان الكاتب باسم خندقجي قد استخدم بنية زمنية معقدة ومتداخلة تجمع بين التسلسل الخطي الحاضر و زمن الاسترجاع "الماضي" وزمن الحاضر، في حين يغيب بشكل ملحوظ زمن الاستباق "المستقبل"، يمكن تفسير هذا الاختيار بالنظر إلى وضع السجين الذي غالبا ما يكون أسير لحظته الراهنة والذكريات والحنين إلى الماضي، ويسيطر الغموض على مستقبله، كما أن غياب الاستباق قد يخدم أيضا الجانب الفني للرواية حيث يركز السرد على الحاضر والماضي مما يضفى على العمل طابعا خاصا قد يهدف إلى تعميق التأمل في الواقع الراهن أو استحضار قوة الذاكرة بدلاً من إثارة التوقعات المستقبلية وترك عنصر التشويق في الرواية لدى المتلقي.

بالتالي فإن غياب الإستباقات في قناع بلون السماء يعزز من قوة السرد ويخدم الأهداف الفنية والموضوعية للرواية من أجل خلق حالة من الغموض والكشف التدريجي عن المعلومات وإبراز العلاقة بين الشخصيات والأحداث، وهنا الزمن لا يمكن القول عليه دائري بالمعنى التقليدي وليس متسلسلا بشكل كامل، بل هو يجمع بين التسلسل الخطي في الزمن الحاضر والعودة إلى الماضي عبر الاسترجاعات مما يترك البنية الزمنية أكثر تعقيدا وتداخلا من أجل ترك بصمة فنية من خلال هذا الإتقان المتداخل بين الماضي والحاضر.

ب / دراسة المكان:

يعتبرا المكان عنصرا جوهريا في الأعمال الأدبية، وخاصة في الرواية، حيث لا يقتصر على الوصف الجغرافي وحسب بل تعتبر عنصر أساسي في بنية العمل ودلالته، فالروائي لا يكتفي برسم صورة فوتوغرافية للمكان بل يخوض في أعماق المكان من أجل كشف البعد الرمزي والتاريخي والثقافي.

– تنوع الأماكن في الرواية حسب رؤية الكاتب وأهدافه، تكون أمكنة مفتوحة ترمز إلى الحرية والإنطلاق، وقد تكون أمكنة مغلقة تجسد الحصار والقيود ، أي المكان الواحد يحمل دلالات مختلفة متضادة ، يكون مفتوحا ولكنه ينطوي على الألم و المعاناة ، أو يكون مغلقا ولكنه يرمز إلى الأمل والتفاؤل ، يكون الكاتب في هندسة عمله الفني بإتقان حتى يصل إلى غايته المرادة، يركز على الأماكن الرئيسية التي تحمل دلالات ورمزية عميقة، التي تؤثر على الأحداث والشخصيات، وربط المكان بالصراعات التي تتناولها الرواية ويعكس من خلال تصور أفكاره ورؤيته العميقة حول العالم، لهذا في رواية قناع بلون السماء يبدع الأسير باسم خندقجي في توظيف المكان كعنصر فاعل في بناء روايته، تطرق إلى أماكن متنوعة، منها ما هو واقعي يمكن للقارئ أن يتعرف عليه في الواقع، ومنها ما هو رمزي يحمل دلالات تتجاوز حدود الواقع، وكل هذا التنوع هو في سبيل خدمة القضية التي تتناولها الرواية ما هي إلا القضية الفلسطينية بكل ما تنطوي

عليه من صراعات الهوية والوجود في ظل الاحتلال، فالكاتب باسم خندقجي هنا يصف الأمكنة بدقة متناهية ويهتم بتفاصيلها من أجل أن تكون شاهدا على معاناة الشعب الفلسطيني وصورة واقعية لما يحدث هناك في ضل الاحتلال وفي ظل تعدد الأمكنة يمكننا تصنيفها على النحو التالي:

الأماكن المفتوحة:

– **الأزقة:** في بطاقة الرواية تطرق الكاتب إلى الزقاق حيث يقول "أزقة المخيم تطبق عليه، تحيط به، تدنو منه وهو يخترقها رغما عنه بخطاه السريعة، أزقة تسيء لصباحاته وهذا الصباح ليس استثناء، فنداه صدأ يكسو تطلعه هو وهذا الشاب الثلاثيني الذي بات يهول الان"[1] .باسم خندقجي يصف الأزقة بدقة ويجعلها جزء لا يتجزأ من عالم نور وحياته لهذا كتب عنوان فرعي مكتوب "الأزقة"[2] هي ليست مجرد ممرات ضيقة بين المباني بل هي فضاء ينبض بالحركة والمعاناة والأمل، لكن بالنسبة لنور هي خانقة وتغطي على نور الشاب الثلاثيني وهذا التصور يصف الجو الكئيب الذي يسيطر على نور وتمثل بالنسبة له مكانا خانقا يحرمه من الحرية والأمل ، ووظيفة الأزقة هنا تصف حالة الحصار والضيق التي يعيشها الفلسطينيون في المخيمات، ويجدون أنفسهم محاصرين بين الجدران ومحرومين من الحرية، وهي جزء أساسي من هوية نور لأنه ولد من الزقاق ، لهذا هي ليست مكان يعيش فيه فقط بل جزءاً لا يتجزأ من هويته وتجربته الوجودية، هو الرحم الذي يلد منه المنكوب ويجعله يتقن البؤس منذ صرخته الأولى والأزقة تمثل مسرح الصراع بين الفلسطينيين والاحتلال من خلال المواجهات والاشتباكات وتشهد على معاناة الناس هي المكان الذي يعيش فيه الفلسطينيون صراعهم اليومي من أجل البقاء ، وعلاقة نور مع الأزقة تشكل عالمه الذي ولد فيه وترعرع فيه وتشكلت شخصيته رغم ما فيه من بؤس ومعاناة وهي تعكس حالته النفسية، يشعر بالضياع

[1] – الرواية، ص15.

[2] – المصدر نفسه.

والاغتراب فيها، ولا يستطيع الخروج منها أو حتى التحرر من قيودها حيث تقع في الأزقة أحداث ومواجهات بين الفلسطينيين والإسرائيليين وهذا ما يتركها مكان خطر وغير آمن وتنتشر آثار الاحتلال واضح فيها من خلال حواجز وجدران وأسلاك مما يزيد من ضيقها وخنقها، فهي مكان للصراع عن الهوية من خلال محاولة الفلسطينيين للحفاظ على هويتهم ومواجهة كل من يحاول طمسها وتشويهها، والمكان يعكس أفكار الكاتب باسم ورؤيته للقضية الفلسطينية، ويكشف عن الظروف الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني وصحيح أن الأزقة مكان مفتوح إلا أنها تحمل نوع من التشاؤم يعني مفتوحة ليست مغلقة بجدران وسقوف لكنها في الوقت نفسه ضيقة ومحدودة.

– **القدس** : تحتل "القدس"[1] مكانة استثنائية في الوجدان الفلسطيني وفي رواية قناع بلون السماء تظهر القدس كحاضرة روحية سياسية تاريخية ، هي ليست مجرد مدينة فقط بل هي قلب فلسطين النابض وروحها المجهدة ، وهي تحمل دلالة رمزية عميقة تتجاوز البعد الجغرافي فهي أمل كل فلسطيني في سبيل التحرر من الاحتلال الإسرائيلي تمثل رمز الهوية والانتماء تجسد الهوية الفلسطينية بكل أبعادها الدينية والثقافية والتاريخية ، وهي المدينة المقدسة التي تحتضن أهم المقدسات الإسلامية وتمثل حضارة الشعب الفلسطيني وتشكل مكان الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وهي رمز التوحد والوحدة الفلسطينية ، وباسم هنا يصف القدس وصف واقعي يصف المسجد الأقصى وقبعة الصخرة وكنيسة القيامة وحتى البلدة القديمة وأسوارها العتيقة من أجل إبراز البعد الديني والتاريخي لفلسطين ويصف كذلك الحواجز المفروضة على الشعب الفلسطيني والقيود ومحاولة التهويد، ومع يبرز صمود المقدسيين و تمسكهم بمدينتهم وتحديهم لمحاولات الاحتلال والحفاظ على الهوية، ويرتبط القدس مع شخصيات الرواية وخاصة نور ارتباطا وثيقا وهي جزء لا يتجزأ من هوية نور وهي المدينة التي يهم بزيارتها والصلاة فيها، وبالنسبة له هي مصدر إلهام وأمل التحرر وهنا الكاتب من خلال كتابته عن القدس نجد نوع من تجسيد الحق

[1] – الرواية، ص94.

الفلسطيني في المدينة المقدسة وحتى تعتبر أمل من أجل التحرر، وأن القدس هو حق كل فلسطيني وهناك هوية واحدة هي الهوية الفلسطينية الإسلامية العربية.

سوق يافا: يعتبر "سوق يافا[1]" نقطة تحول مسار الأحداث وهو المحرك الأساسي لصراع نور الداخلي بعدما وجد في سوق يافا الهوية الزرقاء التي تتركه يتقمص شخصية "أور شابيرا" ويدخل في متاهة الهوية والصراع ، ويرمز هذا السوق إلى الهوية المسروقة بطريقة غير مشروعة وطرح أسئلة حول الهوية والاغتصاب والانتماء، وهو فضاء للصراع الثقافي بين الهوية الفلسطينية والهوية الإسرائيلية حيث يصفه باسم خندقجي بالمكان الذي يعج بالحركة والأصوات المتداخلة ويعكس تنوع الثقافات، وعلاقة نور مع سوق يافا تمثل نقطة بداية البحث عن الهوية والصراع العنيف بين الهويات والوقوف أمام اختبارات صعبة ومن خلاله يختبر نور قدرته للحفاظ على الهوية ومن خلال هذا السوق نجد أن أفكار الكاتب تكشف عن أهمية الهوية الفلسطينية وضرورة الحفاظ عليها في مواجهة محاولات الطمس والتحرر.

وبالإضافة إلى فضاءات أخرى في الرواية، تبرز أماكن مفتوحة كالأراضي الزراعية والمدينة والحواجز والبحر أو الشاطئ، وأماكن أخرى ذات دلالة مثل البلدة القديمة ورام الله وحارة الياسمين، ومقبرة البيرة وحرم المسجد الأقصى والحديقة.

الأماكن المغلقة:

-**المخيمات:** تحتل المخيمات مكانة محورية في رواية قناع بلون السماء فالمخيم ليس بمجرد مكان إقامة مؤقت بل هو عالم قائم بذاته له قوانينه وتقاليده ويحمل دلالات عميقة تتجاوز الوصف الجغرافي، يعيش اللاجئون منذ أجيال في المخيمات وهي تذكير بالنكبة الفلسطينية التي لحقت بالشعب الفلسطيني ورمز للمعاناة بكل أبعادها بين الفقر والبؤس والقمع وفي نفس الوقت ترمز إلى صمود هذا الشعب وقدرتهم على البقاء رغم كل الظروف الصعبة. يعود أدراجه إلى المخيم إلى الأزقة (...) لم تزل الطريق إلى المخيم

[1]- الرواية، ص43.

خاوية، وهو اللاجئ الذي لا يتلمس ملامح المخيم إلا عندما يخرج منه، (...) فالجميع سواء بالأسماء ذاتها داخل المخيم"[1]. وتشكل المخيمات جزءا هاما من الهوية الفلسطينية وتعتبر مكان يعيش فيها اللاجئون في ظروف معيشية صعبة ويشعرون بالوحدة والتضامن فيما بينهم ويجدون في المخيم مكانا آمنًا ووطنًا جديدًا ، فعلاقة نور مع المخيمات ارتباطا وثيقا وهو مكان ولادته ونشأته وجزء هام من هويته ومصدر ألمه وأمله، وتشكل رمز للمقاومة وساحة للصراع في الرواية ، وتعكس المخيمات أفكار الكاتب ورؤيته للقضية الفلسطينية من خلال إبراز الظلم التاريخي الذي يلحق بالشعب الفلسطيني وتغلبه على الصعاب رغم التحديات وهي تصف حياة اللاجئين وعلاقتهم بالسجن في الواقع.

- **معهد أولبراين للأبحاث الأثرية:** يوصف معهد التنقيب الأثري في "كيبوتس مشمار هعيمق"[2] في رواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي، ليس كموقع للتنقيب عن الآثار فحسب، بل يوصف كفضاء رمزي متعدد الدلالات، ومسرحًا للصراعات المتشابكة التي تمزق الشخصيات وتكشف عن تعقيدات الهوية الفلسطينية والإسرائيلية، ويسعى إلى إثبات الحقيقة التاريخية في الأرض المقدسة ، فنور الفلسطيني الذي يتخفى تحت قناع داخلي عنيف، يعيش صراعًا بين الذات الأصلية والذات المنتحلة، بين الانتماء الفلسطيني العميق والجاذبية الإسرائيلية المؤقتة لكن في نهاية المطاف يتغلب على ذاته المنتحلة ويستعيد هويته الفلسطينية الأصلية حتى يمتد الصراع بين سماء وأيالا فسماء الفلسطينية ترى كل شيء هناك جزء لا يتجزأ لتاريخ فلسطيني وأيالا ترى كل شيء هناك حق اليهود وهذا الصراع يعكس ويجعل المعهد فضاء مشحون بالتوتر والانفعال، "جذبته المكتبة بسكونها وخلوها من الروّاد ، وبرائحة ورقها وجلودها العريقة، لم يكن يعلم من أين يفتتح رحلة اطلاعه، وما الكتب التي قد تغني تفاصيل مشروعه الروائي ؟ ترى ما البيانات التي ستشرق أمامه؟ تمالك أمره وحماسته ليغيب في أروقتها ساعتين تتسارع فيها الدقائق

[1] - الرواية، ص26.

[2] - المصدر نفسه، ص101.

والثواني"[1]. والكاتب خندقجي هنا يصف المعهد وصف دقيق وعميق، فالكاتب الفلسطيني يعيش تحت الاحتلال وأسير ينظر إلى المعهد بعين الناقد والباحث عن الحقيقة، فهو رمز للاحتلال والبحث عن الحقيقة في طمس الهوية الفلسطينية وتشويه تاريخها وفي الوقت نفسه يرى أنها رمز للأمل، ومعهد البحث هذا ليس مكان فقط بل هو يكشف عن الصراعات العميقة بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

السجن: السجن في الرواية ليس مجرد مكان يحتجز فيه الأفراد بل هو عالم قائم بذاته وقوانينه الصارمة و تقاليده القاسية ويعكس ذلك تفاصيله الدقيقة، تجربة الكاتب الشخصية كأسير فلسطيني، لهذا يقول مراد في الرواية "السجن كثافة يا صديقي نور"[2] يرمز إلى القيود المفروضة على حرية الفلسطينيين وحركتهم وإلى العزلة التي يعانون منها في ظل الاحتلال، هو مكان يخنق الأمل ويفرض اليأس وتتلاشى ملامح الإنسانية وتكشف الحقائق المرة عن واقع الأسر والظلم، فمراد صديق نور في الرواية يمثل صوت الأسرى في فلسطين من خلال رسائل بينه و بين نور ويبين الصعوبات التي يواجهها في التواصل مع العالم الخارجي في ظل الظروف القاسية ، ولا يمكن فصل رؤية الكاتب باسم خندقجي للسجن عن تجربته الشخصية كأسير، فالكاتب الذي يعيش واقع الأسر حتى يومنا هذا ينظر إلى السجن بعين الأسير الذي يحمل داخله مرارة القضبان وقسوة السجان، يرى رمز يسلب حرية الفلسطينيين ، ويطمس هويتهم وتاريخهم ، من خلال ذلك الوصف الدقيق للسجن، وينقل لنا صورة مباشرة عن واقع السجن ويجعلنا نشعر بمعاناة المسجونين وآلامهم.

بالإضافة إلى ذلك، تتضمن الرواية فضاءات مغلقة تحمل دلالات خاصة مثل غرفة نور في المعهد، والمكتبة التي تمثل فضاء المعرفة والمقاهي التي قد تكون مساحات للتلاقي

[1] – الرواية، ص104–105.

[2] – المصدر نفسه، ص23.

والتفكير، وبيت نور في المخيم الذي مثل جزءًا من واقعه المعيش، كما نجد أماكن أخرى مغلقة كالغيتو اليهودي في أوروبا، وموقع التنقيب و"الحافلة البيضاء وفندق السيتي أن."[1]

ثالثا: دراسة الأحداث في الرواية

أ/ رحلة البحث عن مريم المجدلية:

بداية الرواية تبدأ بالتسجيل رقم 12 وهذا دليل على أن المحاولات اليائسة لنور أي 11 تسجيل صوتي قبل كان تصور خاطئ في هذا التسجيل "البطاقة الصوتية رقم 12 الاثنين 19 نيسان 2021 ... إثر فشلي الذريع ومحاولتي اليائسة في تقصي وإثبات السيرة التاريخية لمريم المجدلية ... بعد فترة طويلة ... أكثر من خمس سنوات في عالم المجدلية التاريخي والديني ... لن أسمح لدان براون وكل الكؤوس المقدسة التي شربت بصحة رواية " شفيرة دافنشي"... لهذا سأحاول إعادة القراءة،[2]" إن نور بطل الرواية قناع بلون السماء يسعى هنا لكتابة رواية عن مريم المجدلية أي رواية داخل رواية ويواجه صعوبات في تتبع سيرتها التاريخية. ويذكر نور أن شيفرة دافنشي لداون براون هذه الرواية قدمت مريم المجدلية بصورة مثيرة للجدل، ونور يرفض هذا التصور ويحاول تصحيح الصورة المشوهة التي قدمتها رواية شيفرة دافنشي،" كيف سأكتب الرواية؟ وما الأسلوب الذي سأعتمده؟ وما عنوانها؟ وهل سأتمكن من نشرها في هذه البلاد عديمة الأدب والنشر؟ ...أما الأبطال فإن البطل الرئيسي في الزمن الحاضر سيكون أستاذا جامعيا باحثا في الآثار... وقد يكون البطل روائيا يسعى في كتابة رواية عن المجدلية،"[3] نلاحظ حضور قوي للكاتب باسم خندقجي من خلال شخصية نور، نور لا يكتفي بسرد الاحداث بل يعبر عن أفكاره والتساؤلات حول عملية الكتابة نفسها، على سبيل المثال عند تساؤله عن كيف يكتب الرواية وحتى الأسلوب والعنوان وكيف ينشرها في بلد عديمة الأدب والنشر، كلها تساؤلات

[1] –الرواية، ص26–27.

[2] –المصدر نفسه، ص11.

[3] – المصدر نفسه، ص12.

تعكس هموم الكاتب وتحدياته في الكتابة تحت الاحتلال وهو في السجن، وعليه الكاتب ونور يخوضان رحلة متوازية الأول لكتابة الرواية والثاني لكشف الحقيقة، لهذا حضور الكاتب هنا يساهم في إثراء الرواية وتعميق دلالاتها.

ب/ رسائل خفية من وراء القضبان:

نور لديه صديق مراد الذي سجن قبل عشرة سنوات ويتبادلون الرسائل عبر الكتب التي يطلبها مراد من والدته وهي الأخيرة تقول ذلك لنور وهو يوفر له الكتب التي يحتاجها، بالإضافة يكتب له رسائل وهو الأخير كذلك عندما يقرأ الكتب ويعيدها اليه يكتب له ما في قلبه بخط باهت حتى لا يؤثر عليه أمن السجن لأن هناك قوانين صارمة وتعتبر ممنوعة خاصة إذا كانت تصف الوضع في السجن، حيث يقول مراد في رسالة خفية إلى نور في كتاب ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي" السجن كثافة يا صديقي نور السجن كثافة ... عبارة أطلقها محمود درويش في فضاء زنزانته الأولى أثناء حنينه لقهوة أمه وخبزها ... لم ألتقط أسرار العبارة إلا عندما اشتد عودي في المعتقل."[1] هذه الرسالة تحمل معاني كثيرة وتكشف عن عالم السجن وتأثيره على السجناء والرسالة فالرواية تعكس تجربة الكاتب الشخصية في الكتابة من داخل السجن وهي شهادة حية على معاناة السجناء ودورهم في النضال الفلسطيني

ج/ تسجيلات صوتية إلى الغائب عبر ملاحظات في الهاتف:

كان نور بعد كل تسجيل صوتي عن رواية مريم المجدلية يختمها بملاحظة إلى صديقه الأسير مراد في كل مرة يسجل همسات إلى صديقه الغائب يسجل عن ما يحدث وما يشعر به وما يفكر فيه وحتى أسراره وكل ما يخطر على فكرة كانت، الهاتف بالنسبة لنور بمثابة النافذة الوحيدة التي تظل صديقه مع أنه يعلم أن هذه الرسائل لا تصله لكن لم يستسلم مادام هاتفه معه سيستمر في التسجيل حتى تخرج روحه لأنه بها يتحدث مع صديقه تعتبر بمثابة رسائل صامتة " كم أحسدك يا مراد على سجنك الأصغر ... لأن

[1] – الرواية، ص23.

واقعك الحديدي هذا واضح الملامح مكون من معادلة بسيطة لكنها قاسية: سجن سجين سجّان، ولكن هنا في السجن الأكبر الأمور... لا عليك يا مراد لا عليك، فما أنا فيه لا أجرأ على كتابته في رسالة مهربة إليك... سيأتي اليوم الذي سأنجز فيه رواية المجدلية التي سأذهل بها جميع من كتموني وهبلوني[1]". باسم خندقجي هو كذلك سجين ومراد مثله يواجه كل منهم قيود وتحديات في الكتابة والتواصل مع العالم الخارجي وعليه الكاتب باسم خندقجي كتب روايته قناع بلون السماء من داخل السجن مستخدما الأدب كأداة للمقاومة والتواصل.

"عزيزي مراد أقبل على الحكي معك وإليك الآن بلهفة ... فهل تعلم أن هناك فرقا بين الحكي والكتابة ... سأضل أحكي معك مادام التسجيل الصوتي في هاتفي به متسع لآهاتي واعترافاتي ... آه لقد اختنقت يا مراد فانقذني"[2] نور هنا يبين رؤية فلسفية عميقة حول الصراع بين الحياة والموت والأمل واليأس والمقامة والاستسلام هي في الحقيقة رسالة لصديقه لكن في الحقيقة هي صرخة انسان تعبر عن معاناة الأجيال كامل هناك، فالكلام بالنسبة له ليس مجرد وسيلة للتواصل بل هو الكأس المقدس التي تمنحه القوة والأمل وسوف يستمر في الكلام كأداة للمقاومة والصمود وصرخة استغاثة في نهاية الملاحظة هي صرخة ومعاناة وحاجة كل الشعب الفلسطيني إلى الدعم والمساعدة.

د/ لقاء نور مع الهوية الزرقاء في سوق يافا:

قبل ثلاث سنوات في سنة 2018 هناك وجد نور وجهه الثاني كان نور يتجول ذات يوم خريفي وذهب إلى سوق الخردوات في يافا وفي زحمة المحلات وقعت عيناه على معطف من جلد لونه بني غامق فانجذب إليه كلفه سعره خمسين دولار وذهب مع معطفه الجديد يكل سعادة وأعجبته هيبته الاشكنازية الجلدية اكتشف في هذا المعطف بإحدى جيوبه هوية صهيونية زرقاء اللون.

---

[1] –الرواية ص 51.

[2] –المصدر نفسه، ص131–132.

"وضع يديه في جيبي المعطف أثناء سلوكه للطريق المؤدي إلى محطة الحافلات المركزية لكي يستقبل الحافلة الذاهبة إلى القدس حيث مقر شركة السياحة التي يعمل بها ثم أخذ يتفقد جيوبه الأخرى كافة ، وما إن وضع يده في جيبه الداخلي الواقع قبالة القلب حتى التقطت أصابعه شيئًا ما، فأخرجه بلهفة وفضول، فإذا هي بطاقة هويته صهيونية زرقاء اللون من غير سوء،"[1] يعتبر العثور على الهوية الزرقاء في سوق يافا حدث محوري في بداية الرواية ويحمل دلالات رمزية عميقة التي وجدها في سوق يافا تعرف بتاريخها ورمزيتها الفلسطينية هي مكان تلاقي الهويات هذه الهوية العجيبة، ولون الهوية الزرقاء تعتبر رمز للدولة الصهيونية التي قبضت على فلسطين وعندما قام بتوظيف المعطف الذي اشترى من الخردوات دليل على شيء مستعمل أو شيء متخلي عنه كأن الهوية الإسرائيلية تشير على حتمية الاستعمال وابتسامة نور في الأخير تدل على إحساسه بالنصر لامتلاكه هوية الآخر ومن هنا تبدأ رحلة البحث عن الهوية بعد لقاء نور مع الهوية الزرقاء في سوق يافا.

هـ/ وقائع فلسطينية:

تتضمن رواية "قناع بلون السماء" للأسير الفلسطيني باسم خندقجي أحداث تاريخية متنوعة، يصف الكاتب وقائع حقيقية عايشها أو عاصرها الفلسطينيون فبالإضافة إلى جائحة كورونا التي ذكرها الكاتب كإطار زمني لكتابة الرواية سنة 2021، يتطرق كذلك إلى النكبة والنكسة. بالإضافة إلى أحداث أخرى تتقاطع مع تاريخ القضية الفلسطينية "الاثنين 19 نيسان 2021 فجر السابع من رمضان."[2]

عندما تحققنا من هذا التاريخ وجدنا رمضان 2021 بدأ في 12 نيسان وعليه شهر رمضان يطابق الأحداث التي يرويها الكاتب وهذا ما يضيف على الأحداث مصداقية

[1] – الرواية، ص43–44.

[2] – المصدر نفسه، ص11.

وواقعية.

"–الاحتلال يعتدي على المزارعين في الأغوار الشمالية.

– الاحتلال يعبر مواطنا مقدسيا على هدم بيته على منطقته الخاصة بحجة عدم الترخيص.

– القيادة الفلسطينية تستعد لإجراء الانتخابات التشريعية.

– انحسار عدد الاصابات بفيروس كورونا.

– نتائج الانتخابات البرلمانية لم تحسم تشكيلة الحكومة القادمة في إسرائيل.

– تصاعد التوتر في القدس بعد اعلان بلدية الاحتلال نيتها إخلاء العاملات المقدسية من بيوتها في حي الشيخ جراح."[1] والأخبار هذه تعكس الواقع المرير الذي يعيشه الفلسطينيون تحت الاحتلال الإسرائيلي وتجعلها وثيقة أدبية تسجل معاناة الشعب الفلسطيني وتطلعاته.

" كما قال كاتب ياسين واصفا اللغة الفرنسية إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر، غير أن الفرق ما بين كاتب ياسين ونور الشهدي، هو أن هذا الأخير لم يتعلم العبرية من (فم الذئب) والمدارس العبرية، لقد تعلمها من الشوارع العبرية، كانت العربية لغة قلبه والانجليزية لغة عقله، والعبرية لغة ظله وملامحه الإشكنازية."[2] من خلال هذه المقارنة يضيف باسم خندقجي مصداقية على كتاباته حيث وضح تجربة نور في سياق تاريخي أوسع، ويبرز أوجه التشابه والاختلاف بين تجربة الجزائريين والفلسطينيين مع لغة المحتل.

"فهنا سيداتي وسادتي حيث تقفون الأن تقع أنقاض وأطلال القرية العربية الفلسطينية صرعة .. التي نكبت وهجر أهلها البالغ عددهم أربعمائة نسمة في شهر تموز من عام 1948 .. بلى هُجّروا.. وها هم الآن يقبعون لاجئين ولاجئات من مخيمات اللجوء.. لقد دمرت العصابات الصهيونية القرية، لتشيد مكانها كيبوتس صرعة ... لا يوجد شمشون

[1] – الرواية، ص34–35.

[2] –المصدر نفسه، ص41.

هنا ولا ما يحزنون ..."[1] في هذا الاعتراف نور للسياح عن نكبة 1948 وما خلقته من تهجير وتدمير للقرى الفلسطينية نور هنا يصف الأحداث ليس كخبر تاريخي بل كتجربة حية ومستمرة يعيشها الفلسطينيون حتى اليوم، وهو يسعى هنا إلى عرض حقيقة النكبة ووقوعها وأثرها المدمر على الشعب الفلسطيني ويصف معاناة الناس وتهجيرهم من بيوتهم وهذا ما يعطي بعدا إنسانيا مؤثراً للشهادة.

في نهاية الرواية "قناع بلون السماء" يصرح الكاتب باسم خندقجي على أن الأحداث والشخصيات والأماكن المذكورة في الرواية تستند إلى حقائق ووقائع واقعية هذا التصريح من الكاتب يضيف مصداقية كبيرة على الأحداث، ويجعل الرواية أكثر من مجرد عمل أدبي خيالي بل شهادة على فترة تاريخية هامة وحقائق عايشها الشعب الفلسطيني.

و/قناع الهوية ورحلة البحث عن مريم المجدلية:

بعد الاعلان عن "افتتاح موسم التنقيب الثاني ضمن مشروع وادي يزراعيل الاقليمي جنوب تل مجدو الأثري."[2] والذي يهدف إلى البحث حول الفيلق الروماني السادس في كيبوتس ((مشمار هعيمق)) هنا يقرر نور أن يستغل هوية أور شابيرا الإسرائيلية، كقناع يخفي هويته الحقيقية، وذلك سعيا وراء هدفه المتمثل في إنجاز روايته عن مريم المجدلية ورغم المخاطر التي يتعرض لها فإنه لا يستسلم ، ويطلب من الشيخ المرسي أن يستبدل صورته في بطاقة هوية أور حتى يصبح أور هو نور ولحسن حظه ، فإن "إتقانه للغتين الإنجليزية والعبرية، وملامحه الأجنبية"[3] تجعل تقمصه لشخصية أجنبية أمر سهل، ولا يواجه صعوبة في ذلك ، وهناك يلتقى بشخصيات مختلفة من بينها أيالا التي تحمل هوية مماثلة لهوية أور ، وسماء التي تعتز بهويتها الفلسطينية عكس نور الذي مر في صراع ويخفي حقيقة هويته الفلسطينية، يجد أور ونور نفسيهما في صراع دائم، حيث يتصارع

[1] – الرواية، ص66.

[2] –المصدر نفسه، ص71.

[3] – المصدر نفسه، ص41.

هذان الجانبين المتناقضين داخل شخصية واحدة، ويمكن اعتبار حواراته مع ذاته بمثابة صراع بين شخصيتين منفصلتين يمثل نور فلسطين وأور إسرائيل، مع كل التحديات، لم يستسلم نور، بل يواصل تسجيل تصوراته عن تاريخ مريم المجدلية في تسجيلات صوتية ويرفق كل تسجيل ملاحظة لصديقه مراد ، يصف فيها الأحداث اليومية التي يمر بها مع أعضاء البعثة ، وأخبار فلسطين، وحواراته مع أيالا وسماء، وحتى صراعه الداخلي بين أور ونور، يجد نفسه في صراع بين الانحياز إلى أيالا أو سماء ، حيث يميل قلبه إلى شخصية سماء ولكن سؤال هنا هل سيستمر نور في هذه الكذبة وهذه الهوية المزيفة ؟ وهل يتمكن من التخلص من صراعاته الداخلية مع أور؟ واستعادة ذاته وهويته الضائعة التي فقدها بسبب بحثه التاريخي عن مريم المجدلية؟

ز/ من قناع أور إلى طريق سماء:

بعد صراعات داخلية وشجار حاد مع كل من سماء وأيالا، يقرر نور أن يكشف الحقيقة لسماء، لكنها ترفض تصديقه، قائلة له:

"توقف لا تقرب مني ... كيف هذا ؟ كل شيء فيك يؤكد على يهوديتك.. هل تعتقد أنني غبية لأصدقك أنا أعرف تماما أن عناصر الشاباك يتقنون العربية"[1] هنا يشعر نور بنوع من الخذلان والفشل على عكس أور، الذي يشعر بالانتصار.

بعد ذلك يصلهم خبر بضرورة إيقاف موسم التنقيب مبكرا بسبب الأوضاع الأمنية المتوترة واحتمال إطلاق صواريخ على منطقة كيبوتس مشمار هعيمق، هنا يشعر نور بنوع من النصر بعد هذا الخبر، عندما يغادر هذا المكان يطلب منه ضابط الأمن أن يستبدل بطاقته بأخرى بلاستيكية يشعر هنا كأنه تم اكتشاف أمره، بينما هو يهم بالمغادرة، تتقدم نحوه سيارة من نوع هونداي ويشعر نور أن أمره انكشف تماما، لكن لحسن حظه كانت سماء هي من تقود السيارة وتقول له: "أصعد أيها المجنون لقد صدقتك هيا بنا"[2]، يصعد

[1] – الرواية، ص223.

[2] – المصدر نفسه، ص238.

معها في السيارة ويمزق هوية أور الإسرائيلية، ويبدأ في تغير لغة هاتفه من العبرية إلى العربية ثم ينظر إلى سماء ويقول لها: "أنت هويتي ومآلي"[1] تنتهي الرواية هنا نوع من الأمل، وبنهاية جميلة تحمل رسالة أمل إلى الفلسطينيين، وانتصارًا على الإسرائيليين عندما يمزق نور الهوية الإسرائيلية ويستعيد ذاته وهويته الحقيقية الفلسطينية، رغم كل الصراعات الداخلية والخارجية استطاع في النهاية التغلب على ذاته واسترجاع هويته الحقيقية.

رابعا: دراسة الشخصيات في الرواية

ان العمل الروائي يتشكل من نسيج معقد من الشخصيات تتفاوت في بناء الأحداث وتطورها، فمنها الشخصيات الرئيسية التي توجه مسار السرد وتعتبر محرك أساسي في الرواية، ومنها الشخصيات الثانوية التي تدعم الشخصيات الرئيسية مع اختلاف هذه الشخصيات تدفع الأحداث إلى الأمام وتضيف للرواية حيوية وواقعية، وعلى هذا الأسلوب سار الروائي باسم حندقجي في روايته قناع بلون السماء واستخدم هذا التقسيم للشخصيات وهو على النحو التالي:

أ/ الشخصيات الرئيسية:

– **نور:** تمثل شخصية نور مكانة محورية في رواية قناع بلون السماء تتمثل في الشاب الفلسطيني "الذي يبلغ من العمر 30 سنة من مواليد 1991."[2] الذي يصارع من أجل تشكيل هويته في ظل واقع الاحتلال المعقد يصف الكاتب نور بالتركيز على عالمه الداخلي المضطرب، بالإضافة إلى ملامحه الأجنبية وإتقانه اللغة الإنجليزية والعبرية التي لا يلتفت إليها إلا مع بدء تحوله التدريجي إلى شخصية "أور" المنتحلة، حيث تتغير بعض التفاصيل في ملبسه وطريقة كلامه، أما على مستوى الصفات الداخلية، فيتسم نور بالفضول والروح المتمردة ، وهو مدفوع برغبة عارمة في استكشاف المجهول وتحدي

[1] – الرواية، ص 238.

[2] –المصدر نفسه، ص37.

القيود المفروضة عليه ، ومع ذلك يجد نور نفسه غارقًا في حيرة عميقة وصراع داخلي عنيف بين هويته الفلسطينية الأصيلة وهوية أور الإسرائيلية المزيفة، وهو صراع يدفعه إلى رحلة مضنية للبحث عن الذات والانتماء. وتتشابك علاقات نور مع الشخصيات الأخرى في الرواية لتكشف عن جوانب مختلفة من شخصيته وتساهم في تطور الأحداث "فعلاقته المتوترة بأبيه تمثل الصراع بين الأجيال والتمرد على التقاليد، بينما علاقته السطحية بزوجة أبيه خديجة."[1] تبرز البعد بينه وبين الحياة العائلية التقليدية، أما أمة المتوفاة وجدته تمثلان الحنين إلى الماضي والدعم العائلي الذي يفتقده وفي المقابل تمثل علاقته القوية بصديقه المسجون مراد صوتا لمعاناة الأسرى الفلسطينيين، بينما تجسد سماء الفلسطينية الهوية الأصيلة التي يجد فيها نور الدعم والحب، وعلى النقيض من ذلك تمثل أيالا الإسرائيلية التطرف والعنصرية التي يواجهها نور في رحلته، في حين ترمز شخصية أور المنتحلة إلى الصراع الداخلي الذي يمزق نور ويدفعه إلى التساؤل عن هويته الحقيقية.

وعلى مدار الرواية، تشهد شخصية نور تحولا ملحوظا، يبدأ تدريجيًا مع استخدامه لهوية "أور" الزرقاء، حيث يتبنى بعض سلوكياته وتفكيره، ويخوض صراعا داخليا عنيفا بين الهويتين المتصارعتين، وفي نهاية المطاف يصل نور إلى مرحلة يدرك فيها أن هويته الفلسطينية هي الأصل، فيتخلى عن قناع أور ويعود إلى ذاته الحقيقية، منتصرا في صراعه من أجل الهوية والانتماء.

– **أور**: تمثل شخصية أور في الرواية رمزا للمحتل الإسرائيلي، لا كفرد وهي الهوية التي وجدها نور في سوق يافا وتحمل هذه المعلومات:

"الاسم: أور

اسم العائلة: شابيرا

اسم الأم: ليطال

اسم الأب: نيتسان

[1] – الرواية، ص30.

تاريخ الميلاد: 15-8-1985

مكان الإقامة: تل أبيب

يكبره خمس سنوات صاحب البطاقة أور شابيرا "[1].

هي الهوية التي تفرض الواقع وترمز إلى الامتيازات والحقوق التي يتمتع بها الاسرائيليون في مقابل القيود المفروضة على الفلسطينيين تتسع العلاقة بين "أور" و"نور" بالتوتر والتعقيد، فنور يستخدم هوية أور للوصول إلى أماكن ممنوعة، لكنه يجد نفسه في صراع دائم بين هويته الأصلية والهوية المنتحلة، حتى علاقة الاعجاب التي تبديها أيالا اليهودية اتجاه شخصية أور التي تقمصها نور تكشف عن تعقيدات العلاقات في ظل الاحتلال.

تشهد شخصية أور تطورا ملحوظا في وعي نور، فمن مجرد وسيلة في البداية، يتحول أور تدريجيا إلى جزء من هوية نور، مما يؤدي إلى صراع هوياتي عنيف. وفي نهاية المطاف يتمكن نور من تمزيق هذه الهوية الوهمية واستعادة هويته الفلسطينية الأصيلة منتصرا في هذا الصراع الوجودي، لقد لعبت شخصية أور دورًا فعالا في إبراز صوت المستعمر من خلال سيطرتها المؤقتة على نور لتؤكد في النهاية على قوة الهوية الفلسطينية في مواجهة محاولات طمسها.

- **مريم المجدلية** : تتجلى الشخصية التاريخية مريم المجدلية في رواية قناع بلون السماء كشمس خفية وراء غيوم التاريخ، "ونور كباحث يسعى إلى معرفة قصتها الحقيقية وتحسين صورتها التي رسمتها مختلف الروايات ومنها رواية شفرة دافنشي لدان براون"[2] ، وعليه ينطلق في رحلة استكشافية داخل روايته باحثا عن الحقيقة لهذه الشخصية المؤثرة، عبر تسجيلات صوتية متقطعة وتصورات ذهنية غير كاملة وتتشكل صورة مريم المجدلية كامرأة قوية ، تتجاوز حدود التاريخ الديني، يحلم نور أنها تجسد سماء الفلسطينية وتشبهها تماماً ، والبحث عنها يوازي بحث الكاتب المتخفي وراء قناع نور، وعلاقة نور مع هذه

[1] - الرواية، ص44.

[2] - المصدر نفسه، ص14.

الشخصية تعكس عن سعي وفهم الماضي وتأثيرها على الحاضر، والبحث عليها كأنه بحث عن الروح الفلسطينية الصامدة، هي خيط الأمل الذي يربط بين جذور القوة والصمود والصراع رغم التحديات.

– **مراد:** إن شخصية مراد في رواية "قناع بلون السماء" كصديق غائب حاضر لنور وأسير القيود الجسدية لكنه حر الروح، سجن قبل عقد من الزمان ليغدو صوتا مدوياً لأنين الأسرى الفلسطينيين وبشكل خفي، صدى لروح الكاتب نفسه، باسم خندقجي، الذي خبر مرارة السجن. يمثل مراد رمزا شامخا للصمود والاصرار، وشعلة أمل تتوقد في عتمة الزنازين دوره في الرواية يتجاوز حدود الصداقة مع نور، ليصبح نافذة تطل على حقيقة المعاناة الإنسانية للأسرى، وكاشفا عن الظلم والقهر الذي يتعرضون له.

"تتجلى العلاقة بين نور ومراد كصلة روحية قوية تتحدى قضبان السجن، فتبادل الرسائل الخفية والكتب يجسد عمق هذه الصداقة وتأثيرها المتبادل، مراد رغم أسره،"[1] يظل مصدرا للقوة والإلهام لنور بينما يسعى نور جاهد لتوفير ما يخفف عن صديقه وطأة الأسر.

ارتبطت شخصية مراد بعمق موضوع الرواية الرئيسي، الهوية والصراع، فهو يمثل الهوية الفلسطينية التي لا تنكسر رغم القيد والصوت الذي يصدح بالحق من وراء القضبان شاهدا على وحشية الاحتلال وقوة الروح الإنسانية في وجهه.

– **أيالا:** هي يهودية شرقية "تقيم في رمانتاجان،"[2]ووصفها على النحو التالي: "أيالا متوسطة الطول بشعر أسود قصير عبثت به بضع خصلات صفراء فوق وجهها الدائري الأبيض الممتلئ قليلاً، بعينين سوداوين واسعتين، وأنف لا يجافي بحجمه غلاظة شفتيها المكتنزتين المنسجمتين مع جسد مسّته عافية الجاذبية والفتنة المكسوة ببنطال رمادي

[1] – الرواية، ص47.

[2] – المصدر نفسه، ص117.

ضيق، حجب مقاصده الفاتنة قميصها الأزرق الفضفاض المؤتمن على صدرها ورياحين عمرها الفتي البالغ ثلاثة وعشرين عاماً."[1]

تبرز شخصية أيالا في رواية قناع بلون السماء كصوت صارخ للهوية الإسرائيلية المتصلبة، وكأنها تجسيد حي لإسرائيل ذاتها في ساحة الأحداث. تتجلي هذه التمثيلة بوضوح في صراعها الحاد والمستمر مع سماء الفلسطينية، حيث تتصادم روايتان تاريخيتان وتتصارع هويتان على أرض واحدة، إعجاب أيالا بشخصية أور المنتحلة، في مقابل نفورها من نور بهويته الفلسطينية، يكشف عن انحيازها ورفضها للأخر. " دورها في الرواية يتمحور حول محاولة فرض الرواية الاسرائيلية وطمس الحقائق الفلسطينية، مصرة ببلاغة متعصبة على أن كل ما في الأرض هو إسرائيلي تدمر أيالا بصلابة إلى هذا التعصب وعلاقتها المتوترة مع سماء تمثل جوهر الصراع، بينما يجد فيها أور صدى لهويته المنتحلة ويبقى نور على طرف النقيض، وعلى مدار الرواية تظل أيالا متمسكة بصلابة موقفها، تجسد إصرار الهوية الإسرائيلية على البقاء والإنكار بذلك، تساهم شخصية أيالا بشكل جوهري في استكشاف موضوع الرواية الرئيسي: صراع الهويات المتجذر بين فلسطين وإسرائيل.

– **سماء** : سماء إسماعيل "طالبة دراسات عليا في حقل الأثار،"[2] من حيفا ليست مجرد شخصية روائية بل هي رمز متجمد لفلسطين وروح الشعب الفلسطيني الصامد هي النبض الحي الذي يسري في عروق الرواية ، وهي النور التي تهدي نور في متاهة هويته ولقد وصفها باسم خندقجي في الرواية "وجه لسماء العربية الفلسطينية... شجرة كرملية وارفة قدّر عمرها، مستنشقا ، أكثر من خمسة وعشرين ربيعًا بهيًا، عبق حيفاوي مصحوب بقامة طويلة ونحول مثير كساه شعر حريري أسود عقدته صغيرة وراء ظهرها ، عيناها ليل نابه قمر معطر بالليلك، ليلك وجهها الذي امتزج به شفق بحري، وأنف دقيق منارة لشفتين

[1] –الرواية، ص03.

[2] – المصدر نفسه، ص159.

شهيتين، وأما صوتها فلن يسمعه خاشعا إلا بعد قليل في الاستراحة الثانية،"[1] هكذا وصفها نور هي جوهر فلسطين بكل ما تحمله من جمال وأصالة اسمها يوحي إلى الاتساع والأمل والحرية التي يسعى إليها الفلسطينيون، وهي ترمز بحقيقة الاحتلال وسعيها لكشف المستعمر في موقع التنقيب، وتتصف سماء بالشجاعة في مواجهة أعضاء البعثة في إبراز حقائق التاريخ الفلسطيني وهذا ما زاد نور إعجاب وحيرة من هذه الفتاة القوية، هي أهل لكل الفلسطينيين في الرواية وتلعب دور مرشد الهادي لنور لأنها هي السبب الرئيسي الذي تركه يراجع حساباته والتخلي عن قناع أور حتى يستعيد هويته الفلسطينية الأصلية فهي رمز لهوية فلسطين التي تدافع عن تاريخها ومحاولات الطمس والتزييف، علاقتها مع الشخصيات كانت مختلفة مع نور هي علاقة حب وتفاهم وهي التي تدعمه لاستعادة هويته، أما مع أور كانت علاقة غير مباشرة لكن وجودها يترك نور ينزع قناع أور ويكشف حقيقته، ولكن مع أيالا كانت علاقة صراع وتوتر حاد ، تمثل مواجهة بين فلسطين وإسرائيل، أي سماء وأيالا مع أعضاء البعثة هي بمثابة صوت كل فلسطيني عن حقيقة الهوية الفلسطينية وتاريخها ، وتمثل الأمل المنتظر في المستقبل الأفضل لفلسطين.

ب/ الشخصيات الثانوية:

– **أم عدلي:** هي أم مراد المحكوم بالسجن المؤبد تظهر في الرواية كونها تذهب لزيارة ولدها في السجن لمدة عشر دقائق وتستغرق في الذهاب حوالي أربعة ساعات كما يذكرها مراد في رسالته لنور "رحلة الشتاء والصيف.. "[2] وكانت هي المرسول الوحيد بين نور ومراد هي من تأخذ معها الكتب والرسائل المستبدلة الخفية في قلب الكتاب.

– نورا **كردانية:** هي والدة نور التي ماتت بعد انجابه بعد بضع دقائق في عمر 20 سنة ونور يشبهها في صفاتها "زرق عيناها و بياضها وشعرها الأصفر."[3]

---

[1] –الرواية، ص173–174.

[2] – المصدر نفسه، ص18.

[3] – المصدر نفسه، ص22.

– **شيخ مرسى** : هو من "أصل مغربي"[1] غرناطي، هو من ساعد نور في إخفاء الحقيقة والهوية المزورة وكان بمثابة المساعد المخفي له في قراراته ، وجدد له بطاقة الهوية بصورة مع معلومات أور.

–**شكيب القصابي:** مالك إحدى أكبر شركات السياحة في القدس وكان يعمل عنده نور في السياحة، وتسبب في طرده بعد الحادثة التي تهور وتحدث عن أشياء حقيقية عن فلسطين واسرائيل للسياح.

– **مهدي الشهدي:** هو والد نور الذي دخل السجن بعد أشهر من زواجه من نورا وعندما خرج من السجن بعد خمس سنوات وجد ابته من غير زوجته وكانت علاقته مع ابنه سطحية وغير عميقة.

خديجة: هي زوجة أبو نور الشهدي " ابنة الخمسين عاما، وخالته في نفس الوقت تزوجها أبوه بعد خروجه من السجن بعام واحد رغبة أمه الراحلة."[2]

– **فارس:** صديق مهدي والزوج السابق لخديجة.

– **سمية:** جدة نور وهي من رعته في صغره بعدها توفيت.

– **بروفسور بريان مور:** هو " الأمين السابق لمتحف الساميّات في جامعة هارفرد والمشرف العام على موسم التنقيب الثاني عن معسكر الفليق الروماني السادس."[3]

– **أبي إبراهيم:** هو صاحب المكتبة التي يستعير منها الكتب نور له ولصديقه مراد.

– **ناتان خودروفسكي:** هو " ضابط أمن الكيبوتس"[4] الذي طلب من نور تجديد هويته إلى بطاقة بلاستيكية.

---

[1] – الرواية، ص59.

[2] – المصدر نفسه، ص31.

[3] – المصدر نفسه، ص99.

[4] – المصدر نفسه، ص148.

– **أعضاء البعثة:** إيميلي ونيكول البلجيكيتان بالإضافة إلى "ثلاثة بولنديين، وخمسة إيطاليين، وبريطانيين اثنين وسويسري واحد".[1]

– **دكتورة "روتم ربيتو":** هي "مراقبة سلطة الأثار"[2]

– **سيدة أوشرات وأطفالها:** أوشرات تومر هي من كيبوتس مجدو لديها أطفال هما جلعاد ويوني وإيتان من "أهالي كيبوتسات مجلد وادي يزراعيل الإقليمي."[3]

تتداخل مسارات الشخصيات الرئيسية والثانوية في قناع بلون السماء لتشكل لوحة معقدة للواقع الفلسطيني، فالشخصيات الرئيسية تحمل ثقل القضية وتناقضاتها، بينما تضيء الشخصيات الثانوية جوانب أخرى من الحياة اليومية وتأثير الصراع على مختلف الأصعدة هذا التفاعل بينهما يرسم مشهدًا شاملا ثريا بالتفاصيل الانسانية والاجتماعية.

[1] – الرواية، ص158.

[2] – المصدر نفسه، ص159.

[3] – المصدر نفسه، ص195.

المبحث الثاني: حضور الهوية في الرواية

أولا: تشكلات الهوية عبر الشخصيات

أ/ شكل الهوية الفلسطينية عبر شخصية نور وسماء.

ب/ شكل الهوية الإسرائيلية عبر شخصية أور وأيالا.

ج/ تشكل هوية مراد كصوت الأسرى.

ثانيا: دراسة الأنا والأخريين الشخصيات الفلسطينية والإسرائيلية

أ/ الأنا الفلسطينية المتأرجحة والآخر الإسرائيلي المتلبس.

ب/ الأنا الفلسطينية المتجذرة والأخر الإسرائيلي النافي.

ثالثا: رمزية الهوية الفلسطينية في الرواية

أ/ رموز الأشخاص والأماكن المرتبطة بفلسطين.

- رمزية الشخصيات.
- رمزية الأماكن.

ب/ رموز التاريخ والتراث الفلسطيني.

- رمزية الأحداث التاريخية.
- رمزية التراث الفلسطيني.

ج / رموز التحدي والمواجهة.

رابعا: هاجس الهوية في خطاب السجين الفلسطيني باسم خندقجي

أولا: تشكلات الهوية عبر الشخصيات

تحتل قضية الهوية مكانة هامة في العمل الأدبي، وتعكس سعي الإنسان لفهم ذاته وطرح أسئلة الانتماء والمصير، و تفاعله مع العالم الذي يحيط به، وفي رواية "قناع بلون السماء" تحتل الهوية مكانة مضاعفة ، ولا تظهر الهوية مفهوم بسيط، بل تتناول الرواية تشكل الهوية وتأثرها بالاحتلال، والبحث عن الانتماء والذات رغم كل التحديات، من خلال تشكلات الهوية المختلفة التي يمثلها شخصياتها الرئيسية ، حيث كل شخصية تمثل هوية فريدة تتشكل وتتطور عبر الأحداث والصراعات، وتغوص أيضا في عمق التجربة الإنسانية في إطار الصراع ، ويصبح السؤال المطروح، "من أنا ؟ من أبي ؟ أين هويتي ؟ أين ظلي ؟"[1] كلها أسئلة يطرحها الإنسان عندما يصبح في صراع مع ذاته ويكون في عتمة الظلام، والحقيقة التي يراها إلا عندما يتخلص من مخاوفه، إن تشكلات الهوية عبر الشخصيات ليس مفتاح دوافعه وصراعه بل هي تضيئ الذاكرة في ظروف استثنائية وعلى هذا الأساس تتجلى تشكلات الهوية في الرواية باختلاف كل شخصية وتفاعلاتها. وسنتاول بالتفصيل تشكل الهوية حسب كل شخصية على النحو التالي:

أ/تشكل الهوية الفلسطينية عبر شخصية نور وسماء:

تتشكل الهوية الفلسطينية في ظل التعقيدات، نور وسماء مثال بارز يبين كيفية تشكل الهوية، نور هويته متصارعة بين أصله الفلسطيني وقناع أور الذي يرتديه، أي الصراع بين الانتماء والواقع، بينما سماء تشكل الهوية الفلسطينية الأصلية وارتباطها القوي بالأرض والأصل، ويبرز أصل نور الفلسطيني في حادثته عندما كشف عن حقيقة شمشون الجبار "كلا سيداتي وسادتي .. كلا .. دعوني استمسح طهر أذانكم وبراءة قلوبكم، وإخلاص ضمائركم المؤمنة بالخلاص القادم.. لأقول لكم ان كل ما تفوهت به منذ قليل ما هو إلا ترهات وخزعبلات لا أساس لها من الصفة .. فهنا سيداتي وسادتي حيث تقفون الأن تقع أنقاض وأطلال القرية العربية الفلسطينية صرعة. التي نكبت وهجّر أهلها

[1] – الرواية، ص76.

البالغ عددهم أربعمائة نسمة في شهر تموز من عام 1948 .. بلى هُجّروا .. وها هم الان يقبعون لاجئين ولاجئات في مخيمات اللجوء ..[1] في هذا المشهد نجد أصل نور بارز و حاضر بقوة وهي جزء فعال من ذاته، عندما يتجاهل الصراع ويصرح بالحقيقة إلى السياح، يتسبب هذا الاعتراف في عزله من العمل كمرشد سياحي و حتى أنه كان يعيش تحت اسم نور المزيف إلا أنه غضب من محاولة طمس الهوية الفلسطينية وأخرج كل ما في داخله ويصرح عن أصل الهوية الفلسطينية وإبراز الحقائق وهذا دليل على انتمائه الحقيقي وواقعه الذي يحيط به إنه يرفض الهوية الإسرائيلية ويعترف بتاريخه وذاكرته، نور يشعر بنوع من الاغتراب فهو الآن بين عالمين مختلفين عالم نور و عالم أور ، لكن في هذا الضياع تطل عليه سماء كأنه منارة تضيئ حياته وتوجهه إلى أصله الفلسطيني ويعود من أجل إعادة حسابه ، كانت سماء معتزة بهويتها الفلسطينية "ولا تسأم من الحديث في السياسة ومعاني الهوية"[2] الفلسطينية مع العلم لم تستسلم في التصريح بانتمائها أمام أعضاء البعثة، وتشاركهم بالحقائق التاريخية وهذا الثبات كان بمثابة مرآة عكست لنور حقيقته ، وكان يشعر بنوع من الخجل ، هي تعلن عن هويتها بفخر، بينما هو يتقن الاختباء خلف قناع مزيف، وكل كلام تقوله عن فلسطين كان يفرح نور كثيرا ، وتركه يراجع حسابه و يتساءل عن السبب الذي تركه يرتدي هذا القناع، هل في سبيل الرواية انكر أصلي ؟ بعد صراع قوي بين ذاته أدرك الحقيقة يدرك أن سماء هي هويته ويقول " لها قبل انطلاقهما معها هامسا بكل ما أوتي من لغته العربية المستعادة:

– أنت هويتي ومآلي،"[3] أ كأنه يجد سماء تمثل بالنسية له فلسطين على عكس أيالا التي يجدها كأنها إسرائيل وبعد تغلبه على الهوية الزائفة في نهاية صراعه هي بمثابة أمل لكل فلسطيني إنه سوف يأتي يوم وينتصر الحق على الباطل وتبقى هوية واحدة هي

[1] – الرواية، ص66.

[2] – المصدر نفسه، ص185.

[3] – المصدر نفسه، ص238.

الفلسطينية فقط، لهذ سماء حقيقة وأمل يسعى إليه كل فلسطيني وهي بمثابة الحقيقة التي تضيء حياة كل فلسطيني متردد مثل نور، الذي اعترف بهويته بعد صراع حاد بين ذاته.

ب/ تشكل الهوية الإسرائيلية عبر شخصية أور وأيالا:

– في مقابل اكتشاف تمثلات الهوية الفلسطينية، تصور أيضا تشكل الهوية الإسرائيلية من خلال شخصيتي أور و أيالا نجد أور يمثل هوية إسرائيلية زائفة ومتلبسة من خلال معلوماته الاسم واللقب واسم الأم والأب وأصله الإسرائيلي، يثير جدل حول الأصل والاندماج، بينما أيالا تمثل الهوية الإسرائيلية أكثر أصالة من أور وكل ذلك بتفاعلها مع الأخر الفلسطيني سماء ونور الذي يختبئ وراء قناع أور الذي يكون في جدال معه من خلال الحوارات المتبادلة بينهم والصراعات المتناقضة، نجد أور يمثل صوت إسرائيل هو وأيالا " أور الذي واساها قائلا بأن جميع الصهاينة فخورون بالجيش وسلاح الجو الصهيوني هاتفا بشعار سلاح الجو الصهيوني « الجيدون للطيران » هكذا قال لها أور دون أن يتأثر أو يشعر للحظة بحفيف الأشجار من حوله، الأشجار المحملة بضمائر أهالي ... أمّا أيالا التي كانت تعلن أصل العرب وإرهابهم ووجودهم ، فلم تكن تشعر بأدنى ذوق من اهتزاز حفيف أسفلها لمفاصل حجرية كانت بيوتا لأهالي اللجون .. "[1] تركيز أور على سلاح الجو الصهيوني وفخر أيالا بالجيش الإسرائيلي يشير إلى إنكار أصل الفلسطينيين وحقوقهم التاريخية في أراضيهم ويحمل تشويه صورتهم من خلال وصفهم بالإرهاب، وهذا يعكس موطنا معاديا لا يستحق الاحترام والوجود وعليه غياب تعاطف الإسرائيليين عن الفلسطينيين، وهناك لغة كراهية وصراع حاد في تجاهل الهوية الفلسطينية والنظرة الحاقدة والعدوانية في حق فلسطين وإنها هوية مبنية على النفي وإنكار الآخر وتجاهل حقوقه من خلال هذا التصور الثنائي يتضح أنه يبين القناع الزائف والخطاب المنفي يكشف تحديات تواجه تشكل هذه الهوية في إطار الصراع وهذا ما يشكل

[1] – الرواية، ص200.

هوية إسرائيلية ترى في الفلسطيني هوية مهمشة وهذا ما يترك بعدم المساوات بالهويات وغير متصالحة بوجود الهوية الفلسطينية.

ج / تشكل هوية مراد كصوت الأسرى:

تبرز هوية مراد في الرواية بعداً واقعيا مؤثراً و رمز للأسرى الفلسطينيين إذا ما نظرنا إليها هي تجربة الكاتب باسم خندقجي كأسير فلسطيني، من خلال مراد يرتفع صوت الأسرى بعمق وصدق ، كأننا نسمع تجارب حقيقة من داخل زنازين الاحتلال، وهي ليست عمل روائي وحسب بل هي بمثابة تجربة إنسانية قاسية وهي تمثل صوتا معبر عن قضيتهم وألامهم وأمالهم وتطلعاتهم، "واجه مراد حديد المعتقل بإرادته الفولاذية ، وهزم غربته المريرة بالأمل المتدفق من حبر قلمه ليبارز الحرمان والانتزاع الحاد والممنهج للإنسانية من زمنها ومكانها أدرك مراد الكثافة لدرجة أنه كاتب نور في رسالته الأخيرة بسبب انشغاله التام بسيرة مريم المجدلية"[1]. هوية مراد ليست فقط كسجين يعاني بل هو صوت يحمل هموم الأسرى وقضايا أمته، ويسعى للمساهمة في فهم أعمق للواقع من منظور أعمق ويواجهون الأسرى الفلسطينيون تحديات كثيرة من محاولات إسكاتهم وطمس هويتهم وحتى الكتابة عندهم ممنوعة وتصبح عمل مقاوم وأي إخراج أفكارهم إلى الخارج بمثابة جريمة يعاقبون عليها لهذا نجد في الرواية أسلوب يستخدمه نور و مراد حتى لا يكشف أمرهم "أخرج الكتابين بسرعة ولهفة من الكيس: الأول « الحياة مفاوضات » لصائب عريقات والثاني رواية « ذاكرة الجسد » لأحلام مستغانمي (...) عثر على رسالة بين سطور رواية مستغانمي ، رسالة خطها مراد بخطه الأنيق الذي لطالما حسده عليه نور"[2] يظهر من خلال تبادل الرسائل بينهما باستخدام الكتب، وهذه ليست مجرد طريقة لنقل المعلومات، بل هي أيضا تعبير عن إصرارهم عن التمسك بحقهم في التعبير عن قضيتهم رغم كل القيود ، ولهذا أغلب الأسرى يلجؤون إلى طرق خفية لتجاوز الرقابة مثل مراد استخدم

1 – الرواية، ص 23.

2 – المصدر نفسه، ص 47.

كتب أو رموز وإشارات لا يفهمها إلا هما، "أهديك التحية العابقة بصداقتنا وأعذرني على هذه الرسالة الكولونيالية ... بالمناسبة أريد أن أوصيك على كتابين آخرين هما: الثقافة والإمبريالية لإدوارد سعيد ، ودراسات ما بعد الكولونيالية لبيل أشكروفت."[1]

من خلال هذه الرسالة الخفية من مراد إلى نور تكشف عدة جوانب من حياة الأسرى وهمومهم ، ورغم كل القيود إلا أن الأسير يقرأ ويكتب داخل السجن، ومن خلال اهتمام مراد بالقضايا الفكرية عندما طلب من نور الكتب هذا دليل على أن الأسير يحصر تفكره عن معاناته بل يتجاوز الاهتمام بالعلم والقضايا الفكرية ، ومن خلال مراد تجده كأنه صوت باسم خندقجي الأسير الذي يعبر عن شغفه رغم سجنه ، وتبادل الرسائل يكشف عن عالم الأسير الداخلي وصموده الفكري واهتمامه بالقراءة ، يؤكد على أن روح الحر لا يمكن تقييدها، والهوية الفلسطينية تتمثل من خلال صوت مراد الذي يعبر عن تجربة الكاتب نفسه ، ويجسد إصرار الأسرى على أمل الخروج من المعتقلات وايصال صوتهم و قضاياهم خلف القضبان من خلال الكتابة والقراءة

ومن خلال تنوع هذه الهويات نجد أن الهوية الفلسطينية نراها ثابتة في شخصية سماء بينما هي تتصارع في وعي نور بين الأصل والقناع ولكنه في النهاية تخلص من قناع أور، وعلى الجانب الآخر تتشكل الهوية الإسرائيلية عبر نفي أيالا الآخر وقناع أور الذي يسعى إلى الإندماج والتزييف، أما هوية مراد فهي تصور قيود الأسرى وهو بمثابة صوت يعبر عن الهوية الجماعية للأسرى وقضيتهم.

ثانيًا: دراسة الأنا والآخر بين الشخصيات الفلسطينية والإسرائيلية

في رحاب الصراعات الإنسانية، تظهر ثنائية الأنا و الآخر كصورة واضحة تكشف الاختلافات كمرآة تعكس تعقيدات بين الجماعات المختلفة في الأنا والآخر مثل إسرائيل و فلسطين، وفي رواية قناع بلون السماء تتجسد هذه الثنائية على شكل صراع فلسطيني

1 – الرواية، ص 47–48.

وإسرائيلي، حيث تجسد الهويات المتنازعة في تفاعل الشخصيات فيما بينها بين نور وأور وبين سماء وأيالا، سنسعى في هذا الجزء إلى دراسة هذه الثنائية من خلال تحليل حوارات و صراعات بين الشخصيات المتمثلة في أطراف الصراع ، من أجل الكشف عن تمثلات الأنا الفلسطينية والآخر الإسرائيلي في رواية قناع بلون السماء.

أ/ الأنا الفلسطينية المتأرجحة والآخر الإسرائيلي المتلبس:

يمثل نور في الرواية الأنا الفلسطينية المتأرجحة، إذ يعيش حالة من الضياع والشتات بين جذوره الفلسطينية الأصيلة والقناع المستعار لهوية أور الإسرائيلية، أما الآخر فيمثل شخصية أور المتلبسة بهويته الإسرائيلية، وعندما ندرس العلاقة بين هاتين الشخصيتين من خلال الحوارات والنقاشات غالبا ما تنتهي في اختلاف وجهات النظر، فكل طرف متمسك بهويته وتاريخه، ويعد الحوار التالي بين نور وأور مثالا بارزاً على هذا التباين العميق في المسافة. الفاصلة بين الأنا الفلسطينية والآخر الإسرائيلي.

– "من أنت؟ انت لست أور.... أنا أور شابيرا

– بل أنا أور شابيرا وأنت من انتحلتني وانتهكت هويتي...

– من أنت .. قل ؟

– أنا أور كما قلت لك

– قل ما اسم أباك إذن؟

– نيتسان

– اسم أمك ؟

– ليطال

– اسم جدّك

...

– اسم جدتك

...

– أرأيت أيها الأحمق .. أنت لست أنا .. فمن أنت ؟

– أنا أنت أنا مرآتك."[1]

هذا الحوار العميق بين الأنا الفلسطينية المتأرجحة الذي يمثله نور بارتدائه قناع أور والآخر الإسرائيلي المتلبس، تبادل الاتهامات بالانتحال ومحاولة الغوص في الأصول عبر سؤال الأسماء، يكشف عن صراع حول الهوية، وإصرار أور هويته المعلنة يقابله تردد لدى نور، الذي يرى أن الآخر انعكاسا لضياعه في الهويات، وتداخل الأقنعة في الانتماء الأصيل مع واقع الهويات المشوشة.

" لست أنت من أقنع بريان بضرورة قبولك بالبعثة الأثارية بل أنا .. أنا أور شابيرا ولست أنت يا .. صحيح قل لي ما اسمك ؟ من أنت ؟

– (...) إرهابي مخرب (...)

– اسمي أور شابيرا

– أيها الوغد .. أتتذاكى علي الآن ؟ أنسيت أنك أنت الذي اعتديت على هويتي و إنتحلتني؟!

– أنسيت أنك أنت الذي تعاني من رفاهية الهويَّة ممَّا جعلك تغفل عن وجودها في جيب معطفك الجلدي ؟

– (...)

– حسنا .. ماذا بعد

– ماذا بعد؟

– أنا أسألك .. ما الذي تريده مني؟ متى ستعتقني من جنونك؟

– عندما تعتقني أنت من جنونك!"[2]

---

[1] – الرواية، ص62.

[2] – المصدر نفسه، ص111–112.

يستمر التوتر بين الأنا الفلسطينية والآخر الإسرائيلي، بتبادل الاتهامات بالانتحال يصف أحدهما الآخر بـ" الإرهابي" وهذا الوصف ليس مجرد شيمة ، بل هو تجسيد للصورة النمطية السلبية التي قد يحملها كل طرف عن الآخر في سياق الصراع ، إنه يعكس حالة من عدم الثقة والعداء، ويتم وصف الطرف الآخر في صفة سلبية، وهذا ما يظهر الألم والغضب ، على عمق الصراع الحاد على مستوى الهوية والسياسة ، حيث "يبدأ سؤال الهوية يورق الانسان العربي نتيجة احتكاكه بالآخر، الذي سبقه حضاريا، وبدأ يهدد وجوده حين زحف إلى الشرق مستعمرا، إذ إن المرء لا يدرك أهمية هويته، إلا في لحظة مأزومة يواجه فيها المختلف عندئذ يرتد إلى مكوناته الأصلية، التي تمنحه الاحساس بوجوده أي بتميزه واختلافه عن الآخر، فيحس بضرورة الحفاظ على هذه المكونات ، مهما كانت التحديات، إذ كلما احتوت المواجهة مع الغير زاد المرء تمسكا بمكونات هويته وخصوصيته ، حتى تكاد تصبح ((أناه)) وهذه المكونات شيئا واحدًا"[1] ، نلاحظ أن سؤال الهوية يشتد أكثر مع الاحتكاك بالآخر، وهذا ما يظهر بوضوح بين تفاعل نور وأور كأنه أيقض نور على هويته الفلسطينية حتى وإن كان يعيش تحت قناع الآخر ورغم تأثير أور عليه يستطيع في نهاية المطاف أن يتجاوز الصورة النمطية للأخر وأن يسترجع شيئا من ذاته الأصلية، والتغلب على المخاوف واستعادة الذات لا يأتي بسهولة ، بل هو ينتج بعد صراع داخلي، مرير يدفعه في النهاية التمسك بجوهره وهويته في مواجهة تأثير "الآخر" والحفاظ على مكوناته الذاتية في وجه محاولات الطمس التي فرضها أور عليه.

ب/ الأنا الفلسطينية المتجذرة والآخر الإسرائيلي النافي:

في مقابل التأرجح الهوياتي الذي رأيناه في علاقة نور و أور، تقدم لنا شخصيتا سماء وأيالا عنصر آخر الثنائية "الأنا والآخر" صلابة الهوية الفلسطينية في مواجهة الإسرائيلية النافية، سماء تمثل الجذور العميقة لفلسطين وارتباطها بأرضها وتاريخها، بينما أيالا الأخر الإسرائيلية التي تترك وتقلل من شأن الهوية الفلسطينية وسوف يظهر ذلك من

[1] – ماجد حمود، إشكالية الأنا والآخر، عالم المعرفة الكويت، 2013، ص 13.

خلال الحوارات والصراع الحاد بين سماء وأيالا وهذا الصراع يتضح من خلال المثال التالي:

– "أيتها الحاقدة .. كيف تتهمين إسرائيل بممارسة هولوكوست يحقكم ! لقد سمعتك وأنت تفترين علينا أمام هؤلاء الأجانب.

أجابتها سماء بسخط :

– أليس التطهير العرقي الذي اقترفتموه بحقنا هو الهولوكوست؟

دنت أيالا منها قائلة بعصبية:

– بدلاً من أن تتضامني مع هؤلاء الناجين والضحايا، ها أنت تتهمينهم بارتكاب هولوكوست بحقكم ؟!

– بل أنا متضامنة مع ضحايا النازية وحسب، رؤيتي الخاصة بي، وليس بحسب رؤيتكم الصهيونية.

– وما هي رؤيتك، أيتها الحاقدة ؟!

– بل أنت الحاقدة .. أنت من أعماك حقدك عن رؤية الحقائق.

– أية حقائق ؟! لا يوجد سوى حقيقة يجب أن تعترفي بها وهي دولة إسرائيل، شئت أم أبيت.

خسئت .. فما دمت أنا هنا صامدة فهذه حقيقة."[1]

في هذا الحوار الذي دار بين سماء و أيالا نجد أن الآخر "أيالا" تحاول التقليل من شأن الهوية الفلسطينية وإخفاء الحقائق وإنكارها من خلال التركيز على الهوية الإسرائيلية، بينما سماء تصر على حقيقة تاريخ فلسطين المؤلم، وتأكد على انتمائها العميق وتجربتها المعيشية، وترفض أي محاولات تشويه شعبها الفلسطيني ومن خلال هذا النقاش يتضح عن فجوة عميقة في الوعي التاريخي والسياسي بينهما، من خلال تصادم هويتين مختلفتان جذريا، هنا سماء بثباتها تعبر عن صوت الفلسطيني الذي يرفض التزييف، بينما تعكس

[1] – الرواية، ص 221.

أيالا موقف إسرائيل الذي يرى في التركيز على الماضي الفلسطيني الذي يهدد الهوية الإسرائيلية، ومن خلال هذا الاختلاف يتضح من الصعب التلاقي في ظل إنكار أحد الطرفين لهوية الطرف الآخر وحقوقه "تثير أسئلة حول "الأنا" وأزمات تعترض تشكيل الهوية، التي من بينها إشكالية العلاقة مع الآخر، فتبرز التشوه الذي يحاصرنا مثلما يحاصر الآخر وبذلك تتغلغل الرواية في الأعماق، تتناقش الاكراهات التي تعشش في اللاوعي ، فتقتحم المخبوء في تصوير الذات والآخر، وبذلك تتعرف على تلك القيود والأوهام ، التي قد تحاصر إنسانية الإنسان وتسقفها في ظلمتها"[1]، إن ثنائية الأنا والآخر ليست مجرد مواجهة ، بل هي تشكيل للوعي والذات في مواجهة الآخر، والتشويه الذي يتعرض له الأنا من قبل الآخر.

"هل ثمة خطب ما؟

أجابتها سماء بتهكُّم:

– لا يوجد هنا خطب سواك

تسبب هذا التهكُّم بانفجار أيالا بوجهها غضباً:

– ألا تسأمين من ترديد الترّهات أمام الطلبة الأجانب.. دائما أنتم الضحايا ونحن الجلّادين.

أجابتها سماء (...) إنها ليست ترهات بل حقائق."[2]

بالنظر إلى العلاقة بين سماء وأيالا نرى كيف يتجلى هذا التشويه،حيث سماء تمثل الأنا الفلسطينية التي تواجه الآخر الإسرائيلي من طرف أيالا التي تحمل تصورات عن محاولة طمس وتهميش الهوية الفلسطينية وهذا التصادم يصدر منه صراع حاد ، حيث تحاول سماء الحفاظ على صورة واضحة لذاتها وهويتها في وجه محاولات الآخر في فرض رؤيته وكل رفض من سماء الذي تراه محاولات للتقليل من شأن قضيتها وتاريخها هو بمثابة

[1] – ماجد حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص15.

[2] – الرواية، ص192–193.

مقاومة لهذا التشويه الذي يتقنه الآخر، حيث يصبح الحفاظ على الأنا الفلسطينية المتجذرة فعلاً من أفعال المقاومة في وجه الآخر النافي مثل ما كان بين سماء وأيالا.

– من خلال دراسة تفاعل شخصيات كل من نور وأور وحتى سماء وأيالا، عن تعقيدات ثنائية الأنا والآخر في إطار الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ففي علاقة نور وأور نجد تداخل هوياتي يصور الذات في قبل القناع "الآخر"، أما مواجهة سماء وأيالا ينتج عنه صراع حاد بين الهوية الفلسطينية التي ترفض الانكار، والهوية الإسرائيلية التي تسعى إلى التهميش والنفي، من خلال هذه الثنائيات تتحدى الهويات بعضهما البعض، ويتضح أن فهم الآخر يظل مفتاحاً أساسيا نحو تجاوز حالة الصراع والوصول إلى التعايش وعدم فرض الذات على الآخر.

ثالثًا: رمزية الهوية الفلسطينية في الرواية

تحمل رواية قناع بلون السماء رموز ودلالات متعددة كل منها توحي إلى شيء ما، فمنها شخصية سماء التي تبدو تصورا للأرض والروح الفلسطينية مرورًا بمراد الذي يصف معاناة الأسرى وصمودهم، وصولا إلى دلالات الأماكن مثل يافا و القدس والأحداث التاريخية كالنكبة، هنا يتشكل لنا صورة رمزية غنية بالمعاني ، وبالإضافة إلى الأشياء العابرة كالهوية الزرقاء والأشياء الثقافية والتاريخية المتنوعة، كلها تساهم في إثراء البعد الرمزي للهوية الفلسطينية.

سنسعى في هذا الجزء إلى تفكيك هذه الرموز المتعددة وفهمها التي تدل على الهوية الفلسطينية في الرواية من خلال تناول عناصر فرعية متخصصة.

أ/ رموز الأشخاص والأماكن المرتبطة بفلسطين:

– رمزية الشخصيات:

رمزية الهوية الفلسطينية من خلال شخصيات متعددة التي تحمل دلالات عميقة، فسماء الفتاة الفلسطينية المتجذرة هي مثال للأرض والروح الفلسطينية الصامدة، " كوني أعيش هنا هذا لا يعني أنني إسرائيلية أو يهودية ... كلا .. فهناك فرق شاسع بين كوني عربية

فلسطينية وكوني إسرائيلية."[1] من خلال هذا الجواب من سماء إلى مارك الأجنبي، هذا الرد يؤكد على أن الهوية الفلسطينية ليست مجرد مسألة إقامة أو جنسية بل هي انتماء عميق وأصيل لا يمكن اختزاله أو مساواته بهوية أخرى، اسم سماء هنا يصبح رمز لهذه الهوية الفلسطينية واسمها بمثابة إعلان عن هويتها الثابتة بعد التشديد على مكان انتمائها الفلسطيني، أما مراد يمثل الهوية الفلسطينية في وجه صمود التمسك بالثقافة والتاريخ رغم تواجده في السجن "إن الكولونيالية تفاصيل صغيرة إنها هوس السيطرة والتفاصيل الصغيرة التي تشيد بالنهاية بنية شاملة متكاملة .. تفاصيل معروفة وتاريخية وثقافية نفسية .. لهذا يجب أن نحاربها بالتفاصيل ذاتها"[2] على الرغم من قيود الأسرى والسجن فإن مراد لا يستسلم لواقعه بل يوجه كلاما قويًا في أحد رسائله لنور وهذا يكشف عن وعي حاد بطبيعة الاستعمار التي لا تستهدف الأرض فحسب، بل الذاكرة والوعي والثقافة، لهذا يجب محاربتها بالتفاصيل ذاتها، وهذا ما يحمل مواجهة المستعمر بالوعي وذلك بالتفاصيل الفكرية والثقافية والتاريخية ، وإذا أضفنا إلى هذا الثنائي شخصية مريم المجدلية التي يبحث عنها نور، فإننا نلمس بعدا آخر يتعلق بالبحث عن الحقيقة وإعادة قراءة التاريخ كأننا نبحث عن حقيقة رمزية الهوية الفلسطينية.

- رمزية الأماكن:

إن رمزية الأماكن في الرواية تحمل دلالات عميقة تتعلق بالهوية الفلسطينية وتجربتها "فسوق يافا"[3] يمثل جزءًا من الذاكرة التي يحاول الاحتلال طمسها، والعثور على الهوية الزرقاء فيه ترمز إلى البحث عن بقايا هذه الذاكرة واستعادتها، أما مدينتا "البيرة ورام الله"[4] تمثل الحياة الفلسطينية المعاصرة ، ترمز إلى الوجود الفلسطيني وتمسكه بالحياة رغم

[1] – الرواية، ص176.

[2] –المصدر نفسه، ص25.

[3] – المصدر نفسه، ص43.

[4] – المصدر نفسه، ص26.

التحديات "والمسجد الأقصى"[1] هو رمز ديني وطني راسخ في قلب الهوية الفلسطينية والارتباط بالأرض المقدسة.

ب / رموز التاريخ والتراث الفلسطيني:

- رمزية الأحداث التاريخية:

إن الإشارة إلى الأحداث التاريخية في الرواية لا تسجل وقائع الماضي فقط ، بل تتعداها لتصبح رموزاً دالة على الهوية الفلسطينية وتجربتها فالإشارة إلى "نكبة 1948"[2] لا تمثل فقط ذكرى للتهجير والفقدان ، بل ترمز إلى الجرح العميق في الذاكرة الفلسطينية وكذلك "نكسة 1967 واحتلال فلسطينا بأكملها"[3] هوية أخرى وتوسع الاحتلال مما يعمق الشعور بالضياع أما الإشارة إلى "ثورة باركونيا 132 - 136م "[4] تلك الثورة القديمة ضد الرومان ترمز إلى مقاومة المستعمر بالإضافة إلى الأحداث الفلسطينية اليومية "الاحتلال يعتدي على المزارعين في الأغواد الشمالية (...) انحسار عده المصابات بفيروس كورونا (...)"[5] ترمز إلى الاستعمار و المعاناة والواقع القاسي الذي يعيشه الفلسطينيون تحت الاحتلال.

- رمزية التراث الفلسطيني:

إن رواية قناع بلون السماء تحمل دلالات تراثية تتعمق لفهمنا الهوية الفلسطينية، فذكر حقيقة "رواية ((لأولاد الغيتو)) لإلياس خوري،"[6] يرمز إلى أهمية الأدب الفلسطيني وتناول الرواية الفلسطينية عبر الأجيال، وتشكل الهوية الفلسطينية بالإضافة إلى الإشارة لـ "قرية مسك العطار"[7] التي ترمز إلى جوانب حسية تقليدية من الثقافة الفلسطينية والارتباط

---

[1] - الرواية، ص84.

[2] - المصدر نفسه،50.

[3] - المصدر نفسه، ص130.

[4] - المصدر نفسه، ص35.

[5] - المصدر السابق.

[6] - الرواية، ص46.

[7] - المصدر نفسه، ص178.

بالأرض، والنظر إلى "سهل مجدو أو تل مجدو"[1] هذا الموقع الذي يحمل أهمية تاريخية قديمة في المنطقة ويربط الحاضر بالماضي ويؤكد على استمرار هذا الارتباط.

ج/ رموز التحدّي والمواجهة:

تعكس في الرواية روح التحديات والمواجهات التي ترمز إلى الهوية الفلسطينية فوصف مراد والدته وهي تأتي إلى زيارته في السجن بـ "رحلة الشتاء والصيف التي لا تتعب بها أمي من أجل أن تراني وراء الزجاج العازل"[2] هذا الرمز يحمل دلالة عميقة، فرغم مشقة الطريق وبرد الشتاء وحر الصيف إلا أنها تصر على الوصول، مما يرمز إلى إصرار الفلسطينيين على التواصل والتحدي لقسوة الظروف، و"تعلم نور العبرية في الرواية التي هي عبارة عن لغة العدو"[3] وهي ترمز إلى وسيلة لاختراق الحاجز الآخر وأداة المقاومة والفهم، وعثور نور على "الهوية الزرقاء الاسرائيلية"[4] التي ترمز للوثائق الأخرى واستخدامه كوسيلة للتحرك وتجاوز القيود التي تفرضها اسرائيل على فلسطين. يرمز إلى تحدي الواقع المفروض والحصار من المستعمر، وابتكار طريق للوصول إلى منزل العدو بقناع هويته حتى يستطيع التجول بحرية وبدون قيود وحواجز وتحدي السلطة المسيطرة وإيجاد مساحة التحرك والوجود.

رابعًا: هاجس الهوية في خطاب السجين الفلسطيني باسم خندقجي

في عمق التجربة الفلسطينية المعاصرة يثير إشكالية الهوية كقضية محورية ، ترتبط ارتباطاً وثيقا بمفاهيم الأرض والمقاومة وفي عتمة السجن يصبح هذا السؤال أكثر عمقا ويواجه السجين تهديدًا مضاعفا لطمس هويته، حيث يكشف الأسير باسم خندقجي عن هاجس الهوية المتنامية خلف قضبان السجن، ففي هذا المكان المقيد والضيق يصبح

[1] – الرواية، ص36.

[2] – المصدر نفسه، ص18.

[3] – المصدر نفسه، ص40 (بتصرف).

[4] – المصدر نفسه، ص43.

التمسك بالهوية الفلسطينية من أفضل المقاومة، سنسعى في هذا العنصر عن استكشاف هاجس الهوية في خطاب باسم خندقجي من خلال روايته قناع بلون السماء واكتشاف انعكاس خوف السجين عن هويته وجهوده للتشبث بها وإبقائها حية في ظل الأسر والاحتلال.

باسم خندقجي يعبر عن ما في داخله من خلال شخصية مراد الذي يمثل أسير مثله تماماً حيث يقول مراد في إحدى رسائله إلى نور "أعذرني على عجلتي في هذه الرسالة .. لذلك دعني أوصيك مرة أخرى على إعادة التفكير بالتخلي عن بحثك حول مريم المجدلية واستثمار ما حملته من معارف تاريخية وأثارية وفكرية بالبحث في قضايا معاصرة، مثل قضية بيوت أهالي حي الشيخ جراح الذي ينوي النظام الاستعماري الصهيوني إخلاءها وطرد سكانها .. أو الحفريات المستمرة تحت المسجد الأقصى.. إن هاتان القضيتان محوريتان ويجب أن تقوم بالتصدي لهذا الوحش الكولونيالي من خلال التأسيس لمرجعية معرفية خاصة بنا."[1]

في هذا المقطع وكأن لسان خندقجي ينطق خلف ستار شخصية أخرى في الرواية ليجسد ذلك القلق الوجودي الذي يشعر به في ظل الاستعمار والاعتقال، هنا لا يتعلق الأمر بفقدان الأرض أو الحرية فقط ، بل يشمل الخوف من فقدان الهوية ، وتشويه ملامحها الأصلية وتكشف بأن الاستعمار لا يكتفي بالسيطرة المادية، بل يمتد إلى الذاكرة والروح والوجدان ، كأن خندقجي هو من يقول : يريدون أن يمحوا من نحن ليست الأراضي فقط كل هذا الخوف والضياع يولد منه تشبثًا بالهوية، واستعادة ملامحها الأصلية وحمايتها من التشويه ، والتأكيد على الجذور المتجذرة، ورفض لمحو التاريخ ، هنا باسم خندقجي يصارع شبح النسيان الذي يحاول الاستعمار فرضه من خلال كلامه الذي صوره على لسان مراد الأسير، ويؤكد على أن الهوية الفلسطينية ليست مجرد وثيقة أو إقامة بل هي تاريخ حي ، وذاكرة متصلة ، وروح ليست قابلة للانكسار ويظهر خندقجي عن الاختلاف

[1] – الرواية، ص48.

الكبير بين الهوية الفلسطينية والإسرائيلية من خلال قول نور في نفسه " لو أنني نور فهل كان ليخلِّفني وحدي هنا دون مراقبة وحراسة ...؟ لا أعلم»"[1].

بعد هذا التساؤل الذي طرحه نور يحمل في طياته عالماً من الدلالات، يكشف عن مدى أهمية الهوية الإسرائيلية في مقابل التهميش والوقاية المفروضة على الهوية الفلسطينية هذا الشك والتساؤل يبرزان الفرق الشاسع في التعامل مع الهويتين، هوية تمنح الحرية وهوية تمنح المراقبة وهذا التميز ليس مجرد إجراء أمني، بل هو الانعكاس الذي يرى في الهوية الفلسطينية تهديدا يجلب التقييد، باسم خندقجي بعد توظيف هذا التساؤل يجسد هاجس الهوية الذي يجعله يشعر دائما بالاختلاف والقلق وكأنه يسأل ويقول: لماذا تتعامل بشكل مخالف؟ لماذا هويتنا الفلسطينية تستدعي لكل تلك القيود الصارمة حيث "انتقل خندقجي بشخصيات الرواية بين مواضيع الهوية والعنصرية والسجون والحرب والعلاقات الإسرائيلية الفلسطينية وقدم صورة مختلفة عن الأسير الفلسطيني، وعن الرواية وعن تعقيدات الهوية في الصراع العربي الإسرائيلي، كما ركزت على التاريخ والثقافة والهوية ، مع انتقادات للممارسات الإسرائيلية العنصرية، وشرح مفصل لتعقيدات الحياة تحت الاحتلال والهويات المتعددة التي يمكن أن تتحول إلى قناع"[2] ، ينتقل الأسير باسم خندقجي في روايته عبر عوالم متشابكة كل من مواضيع الهوية ، العنصرية، السجن، والعلاقات الإنسانية المتأثرة بالصراع، و بعين الأسير الفلسطيني، يقدم لنا عن مختلف التعقيدات للهوية الفلسطينية في الصراع العربي الفلسطيني الاسرائيلي، حتى هو خلف قضبان الأسر، إذ لم يستسلم بل استمر في التعبير عن قضيته وهويته بكل إحساس ، لم يكتف بالكتابة وحسب بل أصبح عمله صوتا لقضيته، ومؤكد على تمسكه بالهوية رغم كل التحديات التي واجهها في السجن، كل هذا الاهتمام يؤكد على تأثيره بهويته في ظل الاعتقال وهذا ما مكن عمله

[1] – الرواية، ص104.

[2] – باسم خندقجي أسير فلسطيني كسر القضبان بالأدب وفاز بجائزة الرواية العربية، الجزيرة، https://www.aljazeera.net، 2024/09/29.

الوصول للعالم الخارجي ويفوز بجائزة البوكر للأدب، كل هذا يؤكد على هاجس الهوية الفلسطينية لدى باسم خندقجي.

خاتمة

خاتمة:

بعد هذه الجولة المعمقة في ثنايا بحثنا الموسوم بتجليات الهوية في أدب السجون الفلسطيني دراسة لرواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي، يمكننا القول إن هذا العمل الأدبي الذي يضيء جوانب مظلمة من الواقع الفلسطيني ويكشف عن صراع الهوية في وجه التحديات، نصل إلى محطة الختام حاملين معنا نقاط مستخلصة بشكل منفصل:

1-إن أدب السجون الفلسطيني هو صوت للأسرى، ويوثق معاناتهم ويحفظ هويتهم.

2 -يختص أدب السجون بخصائص متنوعة منها تميزه بصدق التجربة، وكسر حاجز الصمت وتوثيق الواقع.

3-تنوعت أعمال أدب السجون الفلسطيني بينها ما كتبت داخل السجن ومنها ما كتبت خارج أسوار السجن.

4-أدب السجون يمر بصعوبات متنوعة منها الرقابة وصعوبة ايصال الكلمة إلى الخارج وتدوين الأفكار والأعمال وصعوبة النشر والتوزيع.

5-التحديات التي تواجه الهوية المتمثلة في: الطمس، التزييف، ومحاولات الإقصاء التهميش، الفرض، الإقصاء.

6-زمن الرواية هو مزيج بين الزمن الحاضر المتسلسل والزمن الماضي أي " الاسترجاع" ويخلو من زمن الاستباق، وذلك لكون الكاتب مسجون ويشعر بالحنين إلى الماضي.

7-تعتبر شخصيات الرواية بمثابة محركات الفعل الروائي وحاملة الأفكار منها الرئيسية ومنها الثانوية.

8-أدب السجون الفلسطيني يمثل صوتاً حيوياً للأسرى، يوثق معاناتهم ويجسد صمودهم ويساهم بشكل فعال في الحفاظ على الهوية الفلسطينية.

9-تتجلى الهوية الفلسطينية في الرواية عبر شخصياتها الرئيسية، مبرزة صراعها في وجه محاولات التغييب والتشويه من طرف الشخصيات الإسرائيلية.

10-دراسة الأنا والآخر في الرواية يقدم تفاعلاً معقداً بين الذات الفلسطينية والآخر الإسرائيلي، يكشف عن جوانب من الصراع وإمكانيات الفهم المتبادل.

11-تتعدد مستويات رمزية الهوية الفلسطينية في الرواية، متجلية في الشخصيات والأماكن والعناصر التاريخية والتراثية والتحدي والمواجهة.

12-يعكس خطاب باسم خندقجي من خلال الرواية الهاجس العميق بالهوية، مؤكدا على دور الأدب كفعل المقاومة في سياق الأسر.

13-في نهاية الرواية، هناك أمل لكل الفلسطينيين للتحرر واستعادة الرواية الفلسطينية.

وأخيرا أحمد الله على توفيقه لنا، وأرجو أن يكون هذا المنجز البحثي المتواضع مفيدا ولو بجزء يسير للطلبة والباحثين، ولعله يكون بإذن الله نقطة انطلاق لإنجازات بحثية جديدة تستكمل ما فيه من نقائص، وتجيب عن الأسئلة الكثيرة المطروحة حول أدب السجون على ذلك رواية" قناع بلون السماء" تستدعي مزيدا من العناية والبحث الجاد.

الملاحق

الملاحق:

1-ملخص الرواية:

تتألف رواية قناع بلون السماء للأسير باسم خندقجي من مئتين وأربعين صفحة، مقسمة إلى ثلاثة أقسام رئيسية: قسم "نور" (يضم الفصلين الأول والثاني) وأور (يضم الفصلين الثالث والرابع) وسماء (يضم الفصول الخامس والسادس والسابع) ، تروي الرواية قصة شاب فلسطيني في الثلاثين من عمره يدعى نور، وهو كاتب يسعى إلى تدوين رواية عن مريم المجدلية ، لتصحيح التصورات الواردة في "شفرة دافنشي" .

تبدأ الرواية بمقتطف من شعر محمود درويش، نتعرف على نور الذي توفيت والدته نورا بعد ولادته ، زجّ والده في السجن بعد أشهر قليلة من زواجهما، تاركاً زوجته حامل به تولت جدته سمية رعايته، وعندما أطلق سراح والده بعد خمس سنوات ، طلبت سمية من ابنها (والد نور) أن يتزوج خديجة وهي خالة نور، تزوج الأب من خديجة التي قامت بتربية نور وبعد مدة توفيت سمية، كان لنور صديق يدعى مراد مسجونا منذ إحدى عشر سنة ، وتتبادل بينهما رسائل سرية تنقل عبر الكتب التي كان يطلبها مراد من صديقه حيث تجلبها وتأخذها والدة مراد (أم عدلي) ، كان نور يسجل تأملات صوتية في هاتفه حول مريم المجدلية ، مدونا أفكاره التي كانت غالبًا ما تخالف الحقيقة ، تضمنت هذه التسجيلات الصوتية ، التي بلغت حوالي خمسة وعشرين تسجيل ، مع نهاية كل تسجيل يخصص ملاحضات يومية وشعورية موجهة إلى صديقه الغائب، عمل نور مرشدا سياحيًا ، لكنه طرد من عمله بسبب ذكره حقائق عن فلسطين للسياح حقيقة شمشمون الجبار سبّب هذا الأخير فصله من طرف المدير ، قضى نور نحو شهر ونصف في عزلته ، حيث بزغت فكرة روايته ، ثم عاد إلى الشيخ المرسى و تلقى نبأ افتتاح موسم التنقيب وهو ما كان ضروريا لبحثه عن مريم المجدلية في معهد أولبراين، ولكي يتمكن من الالتحاق بالمعهد احتاج إلى هوية إسرائيلية ، كان نور يمتلك هوية زرقاء اللون الشخص يدعى أور شابيرا، عثر عليها قبل ثلاث سنوات في سوق الخردوات في يافا وكان يستخدمها أحيانًا

بمساعدة الشيخ المرسى ، استبدل صورته بالهوية وأعد سيرة ذاتية باللغة الإنجليزية مستفيدا من إتقانه اللغتين الإنجليزية والعبرية و ملامحه التي تبدو أجنبية تمكن نور بهذه الطريقة من دخول المعهد والتعرف على أشخاص من مختلف الجنسيات من بينهم أيالا الإسرائيلية وسماء الفلسطينية، انجذب نور إلى سماء بينما كان أور يميل إلى أيالا ، تجلت الصراعات بين سماء وأيالا كرمز للانقسام وفي حوارات داخلية عميقة كان نور يعاني من صراع داخلي ، يدفعه إلى إجراء حوارات داخلية مع ذاته، متقمصًا أحيانًا شخصية نور الأصلية وأحيانا شخصية أور المزيفة ، أو حتى شخصية سماء ومراد في محاولة منه لفهم ذاته في خضم هذا الواقع المعقد تشتت نور بين هويته الفلسطينية وهوية أور الإسرائيلية باحثا عن ذاته الحقيقة، لكن سماء استطاعت أن تعيده إلى وعيه ليصارحها بحقيقته الفلسطينية ورغم صدمتها الأولية تبعته سماء معترفة صدقه وفي نهاية المطاف ، نزع نور قلادة نجمة داوود ومزق هوية أور معلنًا انتمائه الحقيقي لسماء ، أي هويته.

تحمل هذه القصة أملا للفلسطينيين باستعادة هويتهم وازالة الاحتلال الإسرائيلي تنتهي الرواية بـ "تمت 9 تشرين 2021 سجن جلبوع الكولونيالي".[1]

2- سيرة ذاتية للكاتب باسم خندقجي:

باسم خندقجي كاتب فلسطيني وأسير تميز بإبداعه الأدبي الذي خطه من وراء قضبان السجون متحديًا بذلك قسوة الأسر وظروفه، "ولد باسم صالح محمد أديب خندقجي في مدينة نابلس يوم 22 ديسمبر/ كانون الأول 1983 ، وله أخوان هما أديب ونضال وأختان هما أماني وآمنة"[2] وكانت مسيرته الدراسية كالتاني حيث "درس المرحلة الابتدائية في مدرسة المعري الأولى، وانتقل إلى مدرسة الملك طلال ، وحصل منها على الشهادة الثانوية، بدأ دراسته في قسم العلوم السياسية في جامعة النجاح، لكنه غير تخصصه

[1] – الرواية، ص238.

[2] – باسم خندقجي أسير فلسطيني كسر القضبان بالأدب وفاز بجائزة الرواية العربية.

الجامعي إلى قسم الصحافة والإعلام لاحقا في الأول من نوفمبر/ تشرين الثاني 2004 نفذت المقاومة عملية فدائية في سوق الكرمل في الحي التجاري بمدينة تل أبيب، قتل على إثرها ثلاثة إسرائيليين وجرح أكثر من خمسين منهم"[1] وقد ألهمته تجربته في الأسر.

"كان باسم خندقجي ضمن من اعتقلتهم القوات الإسرائيلية بتهمة التخطيط لهذه العملية وتنفيذها وقد تم اعتقاله قبل تخرجه من الجامعة، واستمر احتجازه دون محاكمة حتى يونيو/حزيران 2005، ثم حكم عليه بالسجن مدى الحياة ثلاث مرات، كما حكمت عليه محكمة الاحتلال بدفع 11.6 مليون دولار تعويضا لعائلات القتلى وتم سجنه في سجين هيداريم، ومن السجن أكمل خندقجي دراسته في جامعة القدس، وكانت رسالة تخرجه عن الدراسات الإسرائيلية في العلوم السياسية."[2]

و رغم تواجده خلف قضبان السجن وظروف الأسر القاسية، إلا أنه استطاع أن يبدع أعمالاً أدبية مميزة تركت بصمة واضحة " بدأ خندقجي حياته الأدبية بكتابة 10 مقالات تحمل عنوان« مسودات عاشق الوطن » (...) كما أصدر لاحقًا مجموعتين شعريتين هما« طرق على جدران المكان » و « شبق الورد إكليل العدم » ، ومجموعة شعرية أخرى بعنوان «أنفاس قصيدة ليلية » عام 2014 ثم بدأ فيما بعد رحلة كتابته الروائية برواية « مسك الكفاية.. سيرة سيدة الظلال الأولى » (...) و أنتج بعدها رواية «نرجس العزلة »، التي كتبها بين فترات متباعدة إذ بدأها عام 2010 وانتهى منها عام 2016 ثم أعلن عن اطلاقها في ملتقى فلسطين الأول للرواية العربية عام 2017 في رام الله، حيث وقعت والدته وشقيقته الرواية للجمهور بدلا عنه (...) ثم كتب رواية « أنفاس امرأة مخذولة »عام 2020وفي سنة 2023 صدرت له رواية« قناع بلون السماء » [3] وقد حظيت أعماله بتقدير واسع وتوجت روايته الأخيرة بفوزه بجائزة البوكر 2024 "بعد تأهل

[1] – باسم خندقجي أسير فلسطيني كسر القضبان بالأدب وفاز بجائزة الرواية العربية.

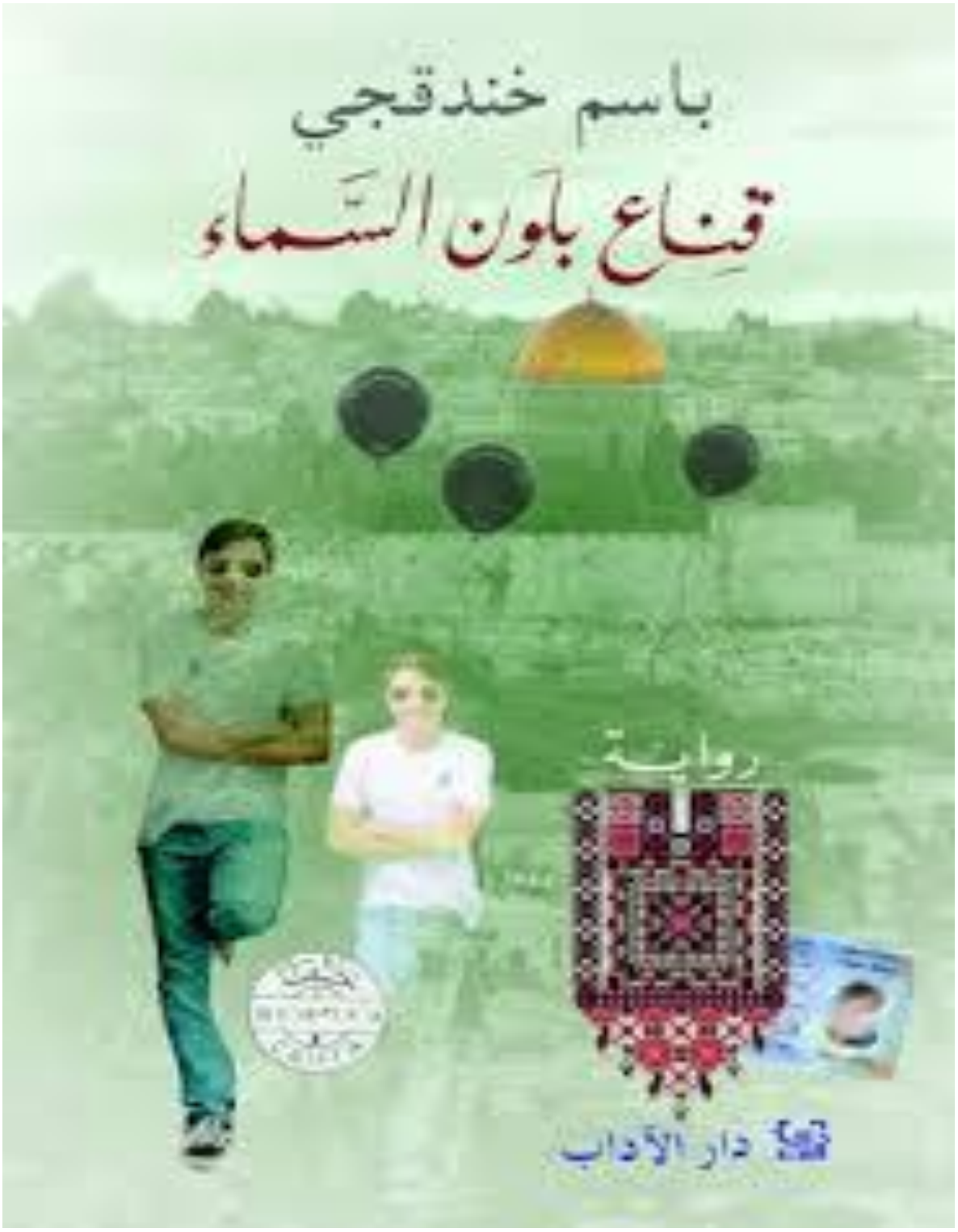
[2] – المرجع نفسه.

[3] – المرجع السابق.

رواية باسم خندقجي للقائمة الأخيرة للروايات المرشحة للجائزة، تعرض لإجراءات تعسفية من قبل مصلحة السجون الإسرائيلية إذ تم عزله انفراديا لمدة 12 يوماً وتكبيل يديه وقدميه لمدة 12 ساعة"[1] وعلى الرغم من تأهل روايته للقائمة الأخيرة لجائزة البوكر، فقد واجه إجراءات تعسفية في الأسر يبقى صوته الإبداعي شاهدا على التحدي والأمل رغم قسوة الظروف.

[1] –. باسم خندقجي أسير فلسطيني كسر القضبان بالأدب وفاز بجائزة الرواية العربية.

3-واجهة الرواية:



قائمة المصادر

والمراجع

1. **القرآن الكريم بالخط العثماني.**
2. **حديث نبوي شريف صحيح البخاري.**

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1- باسم خندقجي، رواية قناع بلون السماء، ط 1، دار الآداب للنشر والتوزيع، فلسطين، 2013م.

المراجع العربية:

1. حسن حنفي، الهوية، دار هنداوي، مصر، 2023.
2. عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، تموز/ يوليو 2014م.
3. عبد الفاتح القلقيلي وأحمد أبو غوش، الهوية الوطنية الفلسطينية: خصوصية التشكل والاطار الناظم، مركز البديل، فلسطين، نيسان 2012م.
4. فتحي المسكيني، الهوية والزمان، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، أغسطس 2001.
5. فؤاد المغربي وآخرون، التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية، ط1، المركز الفلسطيني للأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية، فلسطين رام الله، أيار/ مايو 2013.
6. أحمد جميل عزم وآخرون، قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني، ج1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015م.
7. محمد الزجيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه .ط خاصة، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1991م.

8. واضح الصمد، السجون وأثرها في الآداب العربية .ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م.

9. عبد الله غالب البرغوثي، أمير الظل، ط 1، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، فلسطين، 2012-2013م.

10.مصطفى خليفة، القوقعة، ط 1، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008م.

المراجع المترجمة:

1. أليكس ميكشيللي، الهوية، (ت ر): علي وطفة، ط1، دار النشر الفرنسية، دمشق، 1993 م.

2. أمين معلوف، الهويات القاتلة، "قراءات في الانتماء والعولمة"، (ت ر) نبيل محسن، ط، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سوربا -دمشق1999م.

3. أنتوني غدنز، علم الاجتماع، (ت ر) فايز الصياغ، ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، لحمراء، لبنان،2005م.

4. بيتركورن، البحث عن الهوية (الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله)، (ت ر): سامر جميل رضوان، ط 1، دار الكتاب الجامعي، العين -الإمارات العربية المتحدة، 2010م.

5. مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (ت ح) أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008.

6. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، (ت ر) عبد الضبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، 1984م.

7. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، (ت ر) منير السعيداني، (م ر) الطاهر لبيب، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، مارس 2007م.

القواميس والمعاجم:

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان،1982.

2- علي بن محمد شريف الجرجاني، كتاب التعريفات، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت،1985.

3- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، الجزائر، 1998.

الرسائل الجامعية:

1- مازية حاج علي، الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، رسالة دكتوراه، اشراف جمال مباركي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، 2016/ 2017.

مواقع الكترونية:

1. راتب شعبو، أدب السجون، نزهة قسرية خارج الحياة، ضفة ثالثة، 12 سبتمبر 2020، https://diffah.alaraby.com

2- حسام الدين فياض، أدب السجون، الحوار المتمدن، 2025/01/04، https://www.alhewar.com

3- سارة كفافي، قراءة في كتاب نطفة، موضوع، 20 أوت 2023، http://www.mawdoo3.com.

4- رأفت حمدونة، أدب السجون (الخصائص والمميزات)، جريدة الجديد اليومي 2019/08/28، www.eldjadidelyawmi.dz

5- واسيني الأعرج، أدب السجون الحالة الفلسطينية، القدس العربي، 2023/03/21، https://www.alquds.com.

6- حنان عبد المالك، تجليات فضاء المكان في أدب السجون رواية سيغان ستارغو لمحمد بن زخروفة،ASJP، 11/10/ 2022 ،https://asjpcenist.dz.

7- محمد حنطي، 5 كتب ملهمة صدرت من السجون، القبس، 2020/01/14، https://www.algabas.com.

8- محمد ياسين رحمة، مظاهرة الكتابة و تهريبها في كبسولة، 2024/05/02، https://www.elayem.news.dz

9- ضرار محمد الحروب، أدب السجون حرية قلم، الجزيرة، 2017/03/30، https://www.aljazeera.net

10-أشرف صقر، الهوية الفلسطينية بين التطور والتأزم، العربية 6 أكتوبر 2023، https://Caus.org

11-محمد الخضر عبد الباقي، التطرف وصراع الهويات، الهوية الوطنية مفتاح الحل، مكتبة التحالف، 2023/09/26 ،imcte.org

12-عصام الياسري، مفهوم الوطن والوطنة، بين المنظور القيمي ومواقف أحزاب السلطة، العربية، 10 يونيو 2020، https://www.alarabiya.net

13-كفاية العبادي، ما مفهوم الوطن، موضوع، 18 أغسطس 2008 http://www.mawdoo3.com

14-إبراهيم عجوة، الهوية الوطنية الفلسطينية بين التكريس والتخليع، الجزيرة 2010/04/24، https://www.aljazeera.net

15-باسم خندقجي أسير فلسطيني كسر القضبان بالأدب وفاز بجائزة الرواية العربية، الجزيرة، 2024/09/29، https://www.aljazeera.net

16-تفسير عند سدرة المنتهى، القرآن الكريم ، 2016، https://surahquran.com

17-هديل طالب، بحث عن عيد الطفولة، موضوع، 2022/04/12/

https://masdoo3.com

الفهرس

الفهرس:

شكر وعرفان **3**

إهداء **4**

إهداء **5**

مقدمة:.....أ

الفصل الأول: الهوية في أدب السجون الفلسطيني **6**

المبحث الأول: أدب السجون الفلسطيني 7

أولا: مفهوم أدب السجون 8

ثانيا: خصائص أدب السجون..... 10

ثالثا: أهم مؤلفات أدب السجون 13

رابعا: التحديات التي تواجه كتابة أدب السجون 17

المبحث الثاني: مفهوم الهوية **20**

أولًا: تعريف الهوية 21

ثانيا: أنواع الهوية 28

ثالثا: عناصر الهوية 32

رابعا: التحديات التي تواجه الهوية الفلسطينية..... 37

الفصل الثاني: أدب السجون الفلسطيني وتمظهرات الهوية في رواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي..... **42**

المبحث الأول: دراسة فنية لرواية "قناع بلون السماء" **43**

أولا: سميائية العنوان 44

ثانيا: سميائية الزمان والمكان في الرواية 51

ثالثا: دراسة الأحداث في الرواية 62

الفهرس

رابعا: دراسة الشخصيات في الرواية 69

المبحث الثاني: حضور الهوية في الرواية 77

أولا: تشكلات الهوية عبر الشخصيات 78

ثانيًا: دراسة الأنا والآخر بين الشخصيات الفلسطينية والإسرائيلية 83

ثالثًا: رمزية الهوية الفلسطينية في الرواية 88

رابعًا: هاجس الهوية في خطاب السجين الفلسطيني باسم خندقجي 92

خاتمة: 97

الملاحق: 100

قائمة المصادر والمراجع: 107

الفهرس: 113

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث تجليات الهوية في أدب السجون الفلسطيني من خلال دراسة رواية قناع بلون السماء للأسير الكاتب باسم خندقجي. تبرز الرواية الصراع الداخلي والخارجي الذي يعيشه المعتقل الفلسطيني، حيث تتجسد الهوية الوطنية والإنسانية في مواجهة القيد والسجان. كما تسلط الرواية الضوء على معاناة الأسرى، وانبعاث الوعي السياسي والروحي داخل جدران الزنزانة. وتكشف عن دور الذاكرة، والانتماء، والمقاومة كعناصر فاعلة في تشكيل الهوية. تعكس الدراسة كيف يتحول السجن من مكان للعقاب إلى فضاء لإعادة بناء الذات وتأكيد الهوية الفلسطينية.

Abstract :

This paper examines the manifestations of identity in Palestinian prison literature through the novel Mask in the Colour of the Sky by Bassem Khandaji. The novel highlights the internal and external conflict experienced by the Palestinian prisoner, where national and human identity is embodied in the face of constraint and the jailer. The novel also sheds light on the suffering of prisoners and the emergence of political and spiritual consciousness within the walls of the cell. It reveals the role of memory, belonging, and resistance as active elements in shaping identity. The study reflects how the prison transforms from a place of punishment to a space for self-reconstruction and affirmation of Palestinian identity.